أ .د . الحبيب الجنحاني

الكويت
بين الأمس واليوم

مركز البحوث والدراسات الكويتية
الكويت - ٢٠٠٥ م

تقديم

يسرني أن أقدم هذه الدراسة الموجزة عن بلد عربي شقيق لمست عن كثب مدى اعتزاز أبنائه بالحضارة العربية الإسلامية ، ومدى وفائهم وحماستهم لقضايا الأمة العربية في نضالها من أجل التحرر والتقدم .

وينقسم النص إلى جزئين : يحتوي الجزء الأول على لمحة تاريخية صنفت فيها تاريخ الكويت الحديث حسب رؤيتي لأحداث التاريخ ، أما الجزء الثاني ، وهو الأهم فهو شهادة أقدمها للقارئ نتيجة علاقات أخوية ربطتني بفئة من نخبة الشعب الكويتي ، وستتحول هذه الشهادة يوما ما إلى وثيقة تاريخية ثمينة .

وحرصت أن أكتب هذا النص ، وأنا في خريف العمر ، ليبقى عربون وفاء لأصدقاء كويتيين ، واعترافا بما قدمته الكويت من خدمة للثقافة العربية والإسلامية .

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية لمساعدته على طباعة هذا النص .

الحبيب الجنحاني

الكويت في ٨/ ١٢/ ٢٠٠٤

القسم الأوّل

النشأة والتطوّر

القسم الأول

النشأة والتطوّر

أرّخ بعض الدارسين لمنطقة الخليج العربي لنشأة الكويت ابتداء من حكم أسرة آل الصباح لها ، أي منذ سنة ١٧٥٢م ، ولكن الخرائط القديمة ، ورحلات بعض الأوروبيين للمنطقة في مرحلة مبكرة وعدد من المخطوطات والوثائق أثبتت بوضوح أن هذه النشأة تعود إلى فترة سابقة عن منتصف القرن الثامن عشر .

ونلاحظ في هذا الصدد أن الخرائط تمثل المصادر الأساسية قبل النصوص التاريخيّة ، وقد وضعت لتكون دليلا يرشد السفن الأوروبية في المنطقة ، وهي تعود أساسا إلى القرنين السادس عشر ، والسابع عشر ، أي إلى مرحلة الصراع بين القوى الأوروبية البحرية من أجل السيطرة على طريق الهند . وتمثل منطقة الخليج مدخلا استراتيجيا خطير الشأن ، ونذكر هنا على سبيل المثال خريطة شبه الجزيرة العربية التي نشرها الجغرافي الفرنسي نيكولا سانسون (Nicolas Sanson) سنة ١٦٥٢م ، وقد ورد فيها اسم كاظمة ، وهو اسم يطلق في الكويت الحديثة على منطقة تقع على

الساحل الشمالي لجون الكويت ، شمال شرق الجهراء ، وقد ورد اسم كاظمة في كتب الجغرافيين العرب القدامى مثل الإدريسي في كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " ، ويبدو أن بعض الجغرافيين الأوروبيين قد اعتمدوا في رسم خرائط المنطقة على الترجمة اللاتينية لكتاب الإدريسي الصادرة في باريس عام ١٦١٩م ، كما نشر المستشرق الفرنسي جان دولاروك (DE LA ROQUE JEAN) سنة ١٧١٨م ترجمة لنص مقتبس من كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء يتحدث عن كاظمة البحور باعتبارها منازل للعرب من جهة ، وباعتبارها منطقة تقع على ساحل البحر بين البصرة والقطيف من جهة أخرى .

إن وثائق تاريخ الكويت القديم مرتبطة وثيق الارتباط بالصراع بين القوى الدوليّة يومئذ قصد السيطرة على منطقة الخليج باعتبارها ممرّا حيويا لمنطقة المحيط الهندي ، فلا غرو أن نجد هذه الوثائق محفوظة اليوم في دور الأرشيف الهولندي ، والبريطاني ، والبرتغالي بالدرجة الأولى ، ويعثر الدارس لهذه الوثائق باستمرار على اسم " شركة الهند الشرقية البريطانية " ،

وهي تمثل في حقيقة الأمر سياسة الامبراطورية البريطانية في الهند ، وفي منطقة الخليج ، وهنالك شركة أخرى منافسة لها هي "شركة الهند الشرقيّة الهولنديّة" ، وقد اشتد الصراع على المنطقة ، وتعقّد في القرن التاسع عشر فأضحى صراعا بين القوى الامبرياليّة من جهة ، وبينها وبين الدولة العثمانية من جهة أخرى ، ويطرح نفسه في هذا الصدد السؤال التالي : كيف كان نفوذ الباب العالي في منطقة الخليج في القرن السادس عشر قبيل ظهور القرين (الكويت فيما بعد) باعتبارها تمثل مركز فضاء جغرافي يتمتع باستقلال كبير في ممارسة السلطة ، وإدارة شؤون المنطقة؟

تشير المصادر إلى أن العثمانيين لم يكن لهم نفوذ حقيقي خارج حصون الأحساء والقطيف والبصرة ، أما المناطق الساحلية الأخرى والمناطق الداخلية فقد سيطرت عليها القبائل العربية ، وكانت في حالة حرب مع الدولة العثمانية ، وهي القبائل التي خرجت من عباءتها دول الخليج العربية الحديثة ، وقد مثل بنو خالد أهم هذه القبائل ، التي كانت قبيل مجيء العتوب إلى هذه المنطقة ذات نفوذ واسع في شرقي الجزيرة العربية متخذين من الأحساء قاعدة لهم .

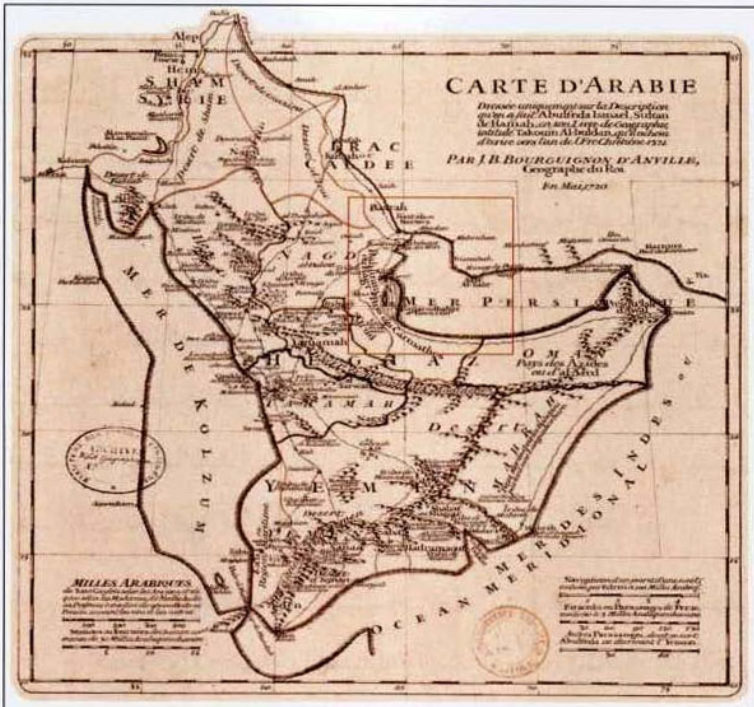

خريطة دانفيل «الجزيرة العربية» وتذكر (أبو الفدا) كمصدر لها، وتظهر كاظمة بوضوح وكذلك «كاظمة البحور» وهي مرفأ كاظمة الكبير الذي ذكره أبو الفدا.
(المكتبة الوطنية، باريس GE DD 2987).

جماعات العتوب وبدايات ظهور دولة الكويت:

لا نملك معلومات دقيقة ومفصلة عن جماعات العتوب ، ولكنّ الثابت تاريخيا أنها تنتسب إلى عدد من القبائل العربية الكبرى التي عرفت حياة الترحال في داخل الجزيرة العربية ، وفي فضاءات جغرافية خليجية أخرى قبل أن تستقرّ في الكويت ، وتصبح من أهل الحضر ، بل أصبح أفرادها يمارسون مهنة الغوص على اللؤلؤ ، ويسهمون في التجارة الدولية يومئذ ، وينحدر آل الصباح من القبيلة العربية الكبرى عنزة ، وينتسبون من عنزة إلى جميلة ، وهي فخذ من عنزة ، كما يؤكد ذلك المؤرخ الكويتي الشهير عبد العزيز الرشيد في كتابه "تاريخ الكويت" .

وتختلف الروايات في تحديد تاريخ وصولهم إلى الكويت مع غيرهم من الأسر والاستقرار بها ، ولكن المرجح منها أن ذلك قد تمّ حوالي سنة ١٦١٣م ، وليس مستبعداً أن يكون هذا الاستقرار قد تم على مراحل مختلفة ، كما يحدث عادة في

انتقال القبائل من حياة الترحال إلى حياة الاستقرار ، ولم تنتم جماعات العتوب إلى مجموعة قبائل العراق العثماني ، كما تثبت ذلك الوثائق العثمانية نفسها ، بل كانت تنتمي إلى القبائل العربية المستقلة عن السلطة العثمانية في منطقة الخليج* .

نشر المستشرق أولرتش هارمان (U. HAARMAN) نصًا يعود إلى فترة استقرار العتوب يتحدث كاتبه عن الكويت باعتبارها كيانا مستقلا ، ومركزا للتجارة البرية والبحرية ، ويشبهها بالأحساء . كتب هذا النص أحد الحجاج السوريين ، وهو مرتضى بن علوان ، وقد زار المنطقة سنة ١٧٠٩م قائلا :

«إلى مضي خمسة عشر يوما دخلنا بلدا يقال لها الكويت بالتصغير ، بلد لا بأس بها تشابه الحسا إلا أنها دونها ، ولكن بعمارتها وأبراجها تشابهها ، وكان معنا حج من أهل البصرة فرق

* ونلاحظ هنا أن العتوب ليس اسما لقبيلة معينة، كما يفهم البعض ذلك، بل هي مجموعة عشائر عرفت حياة الترحال قبل أن تستقر، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور: وعتب من مكان إلى مكان، ومن قول إلى قول إذا اجتاز من موضع إلى موضع.

عنا من هناك على درب يقال له الجهراء ، ومن الكويت إلى البصرة أربعة أيام . وفي المركب يوم واحد لأن مينت البحر على كتف الكويت ، وأما الفاكهة والبطيخ وغير ذلك من اللوازم يأتي من البصرة في كل يوم في المركب لأنها أسكلة البحر ، أقمنا بها يوما وليلتين وتوجهنا على بركة الله اتجاه النجف الأشرف نهار الأحد عشرين الشهر المذكور وهذه الكويت المذكورة اسمها القرين ومشينا قبل وصولنا إليها على كنار البحر ثلاثة أيام والمراكب مسايرتنا والمينة على حدود البلد من غير فاصلة وهذه البلدة يأتيها سائر الحبوب في البحر حنطة وغيرها لأن أرضها لا تقبل الزراعة حتى ما فيها شيء من النخيل ولا غير شجر أصلا وأسعارها أرخص من الحسا لكثرة الدفع من البصرة وغيرها» (نشأة الكويت ، ص١١٤-١٢٠) .

لا تقدم لنا هذه الوثيقة معلومات عن الوضع السياسي بالكويت ، وعن السلطة القائمة فيها ، ولكنها تنبئنا عن المسالك البرية والبحرية ، وعن المراحل بين المدن ، كما تقدم لنا بعض المعلومات الاقتصادية والعمرانية ، فمرتضى بن علوان يصف

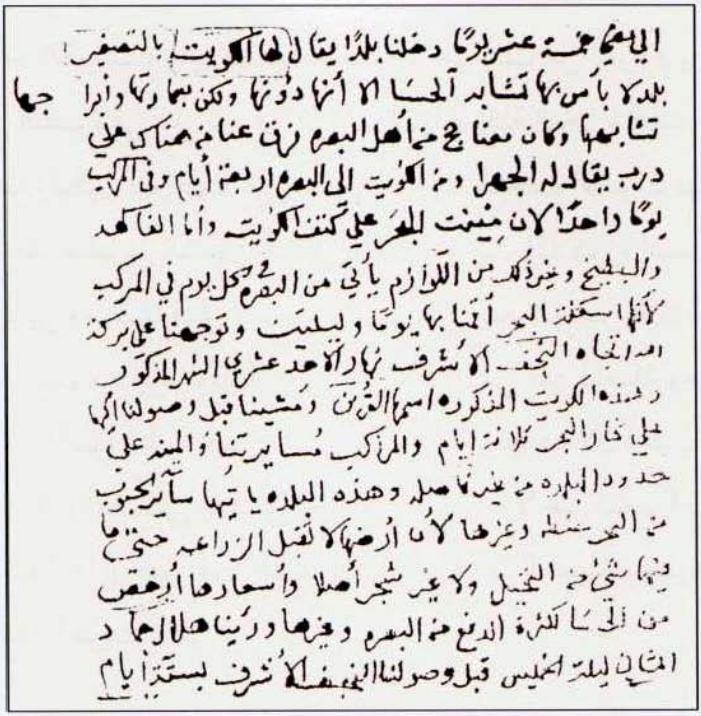

ما كتبه مرتضى بن علوان عن الكويت في رحلته عام ١٧٠٩م
(مخطوط رقم 6137 مكتبة برلين الوطنية)

الكويت بأنها بلدة عامرة تشابه الحسا (الأحساء) إلا أنها أصغر ، وأن أسعارها أرخص من أسعار الحسا رغم أن أرضها لا تقبل الزراعة وخالية من الأشجار .

إن نص مرتضى بن علوان من النصوص الأولى التي تتحدث عن الكويت ، وتصف بعض مظاهر الحياة فيها ، أما ورود ذكرها مع ذكر جزيرة فيلكا ، وبوبيان ، وعوهة في خرائط القوى البحرية الأوروبية فقد ورد سنة ١٧٥٣م في خريطة يوهانس فان كولن (JOHANNES VAN KEULEN) المحفوظة في دار الوثائق العامة الهولندية . إن تعدّد الخرائط والمراسلات التي تصف منطقة الخليج في هذه الفترة تبرهن مرة أخرى على الأهمية الاستراتيجية والتجارية التي أصبحت تحتلها المنطقة بصفة عامة ، والكويت بصفة أخص ، فقد عثر الدارسون لمنطقة الخليج في العصور الحديثة على نص الرحالة فان كنيبهاوزن (VAN KNI-PHAUSEN) يقدّم لنا فيه معلومات ثمينة عن الوضع في المنطقة يومئذ ، وعن نفوذ العتوب وتحالفاتهم السياسية ، كتب يقول في إحدى الفقرات : « . . .بعد مغادرة نهر الفرات والسير على

طول الساحل العربي يقابل المرء جزيرة فيلچة الصغيرة (فيلكا) وفي مقابلها على الشاطئ القرين (الكويت) ، وكلتاهما مأهولتان بقبيلة عربية تحدثنا عنها من قبل وهي العتوب . وقد كانوا فيما سبق يعتمدون شكلا على شيخ الصحراء ، وكانوا يدفعون له ضريبة صغيرة جدا ، ولهم حوالي ٣٠٠ سفينة لكن كلها تقريبا صغيرة إذ يستخدمونها فقط في الغوص من أجل اللؤلؤ ، وخلال الرياح الموسمية السيئة يكون الغوص من أجل اللؤلؤ وصيد السمك مهمتهم الوحيدة ، ويبلغون ٤٠٠٠ رجل مسلحين بالسيوف والدروع والرماح . وليس لديهم أي أسلحة نارية تقريبا ، وليس بمقدورهم أن يستعملوها ، وهذه الأمة في صراع شبه متصل مع الهولة ، عدوهم اللدود ، لهذا السبب وبسبب سفنهم الصغيرة فنادرا ما يتوسعون في الإبحار أبعد من شواطئ غوص اللؤلؤ في البحرين من ناحية ورأس بردستان (Bardistan) على الناحية الأخرى من الخليج ، ويحكمهم عدة شيوخ مختلفين ، يعيشون في اتحاد نسبي ، وأعلاهم مرتبة هو مبارك بن صباح ، ولكن لأنه فقير ولا يزال شابا فإن آخر يدعى

محمد بن خليفة ، غني ويملك سفنا كثيرة كان يتمتع تقريبا باحترام مماثل بينهم ، ومن بعد القرين هناك آثار حصن برتغالي وليس هناك أي أماكن مأهولة على الطريق حتى القطيف» (نشأة الكويت ص١٣٨-١٤١) .

يقف قارئ هذا النص على النقاط الأساسية التالية :

أ- بروز الكويت كقوّة سياسية بقيادة العتوب .

ب- المكانة المتميّزة التي أصبحت تتبوأها باعتبارها مركزا تجاريًا ، وبخاصة أهمية مهنة الغوص بين سكانها .

ج- يبرز من النص أن العتوب يمثلون مجموعة قبلية كبيرة متحالفين مع عشائر عربية أخرى ، ويأتي رئيس عائلة الصباح في منزلة متميّزة بين بطون العتوب بالرغم من أنه كان عام ١٧٥٦م شابا ، ولم يكن ينتسب إلى الفئات الثرية .

وبعد حوالي عقد من الزمن أي في سنة ١٧٧٥م يقدّم لنا الرحالة كارستن نيبور (CARSTEN NIEBUHR) وصفا لمدينة

الكويت أكثر تفصيلا ، وأشد دقة من النص السابق ، فيقول :

«الكويت مدينة ومرفأ على بعد سفر ثلاثة أيام من الزبير أو البصرة القديمة ، وليست بعيدة عن خور عبد الله ، الواقع إلى الغرب من مصب شط العرب ، والفرس والأجانب عموما يسمون هذه المدينة القرين (Gran) ويشتغل سكانها أساسا بالغوص على اللؤلؤ قرب شواطئ البحرين وبصيد السمك ، ويقدر عدد سكانها بعشرة آلاف نسمة . وفي فصل الحرارة عندما يبقى جزء كبير منهم في منطقة البحرين ويسافر كثيرون آخرون بالجمال في القوافل إلى دمشق وحلب وأماكن أخرى يقدر عدد سكان الكويت أو القرين بأقل من ٣٠٠٠ ، والقبيلة العربية التي تحكم هنا جزء من بني عتبة ولكنها تخضع لقبيلة بني خالد من الحسا . ويبدو أن قبائل العتوب تحاول أن تجعل نفسها مستقلة لأنه يقال إن سكان القرين يلجؤون إلى جزيرة (فيلچة) فيلكا التي هي جزء من أراضيهم إذا شعروا بأي تهديد لهم» (نشأة الكويت ، ص١٦٤-١٦٥) .

من أبرز النقاط التي تشد نظر الدارس لهذا الوصف :

أولاً : أهمية مهنة الغوص من جهة ، والتجارة البحرية من جهة أخرى ، إذ أن عدد السفن الذي تمتلكه المدينة قد بلغ ثمانمائة سفينة في مدينة قدّر عدد سكانها يومئذ بعشرة آلاف ساكن .

ثانيًا : أصبحت مدينة الكويت تمثل همزة وصل نشطة بين التجارة البحرية والتجارة الصحراوية ، فالنص يتحدث عن القوافل المتجهة من الكويت إلى دمشق وحلب .

ومن المعروف أن طريق التجارة قد تحوّل في هذه الفترة من البصرة بعد أن احتلتها بلاد فارس إلى الكويت ، وهكذا كان للكويت دور خطير الشأن في دعم العلاقات التجارية بين منطقة المحيط الهندي من جهة ، والبحر الأبيض المتوسط عبر بلاد الشام من جهة أخرى .

ثالثًا : العلاقات التاريخية والأسرية التي تربط منذ القديم بين الكويت ومنطقة الأحساء في شرقي الجزيرة العربية .

رابعًا : استقلال العتوب في ممارستهم للسلطة بالكويت .

أسرة آل الصباح:

نبادر إلى القول : إن شيوخ الكويت من أسرة آل الصباح قد مارسوا السلطة على طريقة القبائل العربية في تلك المرحلة المبكرة ، ولم يكن حكمهم حكما مطلقا ، بل قادوا تحالفا بين الأسر والعشائر ، وخاصة لما تحولت جماعات العتوب من عصر البداوة والترحال إلى عصر الحضر والاستقرار ، وأصبحوا يشتغلون بالغوص والتجارة ، فقد كان حاكم الكويت يستشير قومه في كل ما يتصل ببلده ، وخصوصًا فيما يتعلق بعلاقاتها التجاريّة ، ومن هنا فقد كان حريصًا عبر الحوار على تحقيق التوازن بين مصالح الفئات الاجتماعية المختلفة . ولا شكّ أن طبيعة المجتمع التجاري الذي عرفت به الكويت حقبًا عديدة من تاريخها الطويل قد أثّرت تأثيرا بعيد الشأن في نظامها السياسي ، وقد تواصل هذا التأثير حتى اليوم ، فبالرغم من ظهور مؤسسات الدولة الحديثة ، وسن الدستور ، واختيار النظام الديمقراطي البرلماني فإن سمة المحافظة على التوازنات السياسيّة والاجتماعيّة تبقى العلامة البارزة في أسلوب ممارسة السلطة السياسيّة في

الكويت ، وأميل إلى الاعتقاد بأن للعامل التاريخي أثرًا بليغًا في هذا الصدد ، كما سنوضح ذلك في القسم الثاني من هذه الدراسة . .

ولا يزال تاريخ الفترة الأولى التي وصل فيها العتوب وآل الصباح غامضا والمعلومات عنه قليلة ونادرة ، غير أن هناك ما يؤكد أن بداية حكم آل الصباح كان عام ١٦١٣م ، يؤكد ذلك رسالة وجهها الشيخ مبارك الصباح (المتوفى عام ١٩١٥م) إلى المقيم السياسي في الخليج ومحفوظة في الأرشيف البريطاني ، يقول فيها : «الكويت أرض قفراء نزلها جدنا صباح عام ١٠٢٢ هجرية» أي عام ١٦١٣ ميلادية .

(Kuwait Political Agency, Archiv Editions, 1994, vol. 3, p 602)

ويؤكد ذلك ما جاء في كتاب «روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين» لمحمد بن عثمان بن صالح القاضي بعنيزة الذي ذكر في كتابه أن الكويت قد تأسست عام ١٠٢٢ هجرية .

(Kuwait Political Agency, Archiv Editions, 1994, vol. 3, p 602)

ويمكن القول إنه منذ أوائل القرن الثامن عشر بدأت تتوافر المعلومات عن أسرة آل الصباح التي اتفقت عشائر العتوب على أن تتولى شؤون الكويت ، وكان من أوائل الحكام المعروفين الشيخ صباح بن جابر ، ثم ابنه عبد الله بن صباح ، الذي يخبرنا القناعي في كتابه «صفحات من تاريخ الكويت» أنه حكم حوالي سبعين سنة ، وأنه توفي عام ١٨١٣م .

عاشت منطقة الخليج صراعًا دوليا شديد التعقيد في القرن الثامن عشر تمثل بالخصوص في الصراع البريطاني العثماني ، وخاصة في العراق ، ثم استيلاء جيوش محمد علي على شرقي الجزيرة وغربيها ، ثم حملة ابنه إبراهيم باشا على بلاد الشام عام ١٨٣١م ، ثم تلت ذلك الحملة التركية المصريّة الثانية على نجد والأحساء بقيادة خورشيد باشا ، وتزامن ذلك مع ظهور دعوة دينيّة جديدة في بلاد نجد حاولت التوسّع خارج حدودها في الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، ولم يكن من السهل على السلطة السياسية القائمة في الكويت يومئذ ، وخصوصًا في عهد جابر بن عبد الله ، وعهد ابنه صباح الثاني أن تحافظ على

استقلالها ، وعلى حيادها في الوقت ذاته في خضم هذا الصراع الذي ما يكاد يهدأ حتى يشتد أواره مرة أخرى .

إن المتتبع لمراحل هذا الصراع ، وما يكمن وراءه من أهداف سياسية استراتيجية واقتصادية يدرك كيف استطاعت الكويت أن تحافظ على حيادها ، وأن تفيد من علاقاتها الودية التي فرضتها مصالح المجتمع التجاري الكويتي لتبقى بعيدة عن العواصف الهوجاء التي عصفت بالمنطقة طوال القرن التاسع عشر ، بل تحولت إلى مكان آمن التجأ إليه المتصارعون لما أجبرتهم الظروف على الهجرة ، فلما ساءت العلاقات العثمانية البريطانية في العراق انتقلت الوكالة الإنجليزية إلى الكويت عام ١٨٢١م* . وهذا يؤكّد مرّة أخرى أن الكويت لم تكن خاضعة لنفوذ الباشا العثماني ، أو متسلم البصرة ، كما وفرت الإقامة الآمنة لزعماء المقاومة السعودية التي تصدّت للحملة التركية المصريّة على بلاد نجد والأحساء ، متخذة من التقاليد العربية العريقة لنجدة

* وقد سبق للوكالة الإنجليزية أن انتقلت إلى الكويت بين عامي ١٧٩٣ و١٧٩٥م للأسباب نفسها.

المستجير مبدأ لا يقبل المساومة . وقد لمّحنا قبل قليل إلى سياسة محافظة السلطة السياسية على التوازنات في الداخل لتحكم البلاد بإجماع ، أو شبه إجماع ، ويبدو أن القاعدة نفسها قد اعتمدت في علاقاتها بالقوى الدولية في المنطقة .

إن النص الذي نقله لنا الكولونيل بلي (PELLY) عن صباح الثاني ، وقد زار الكويت في مطلع الستينيات من القرن التاسع عشر يوضح هذه الاستراتيجية إذ روى عن صباح بن جابر قوله :

«عندما بلغ والدي المائة والعشرين من عمره ، ناداني إليه ، وقال : يا ولدي ، إنك تعلم أنني سأفارق الحياة ، إنني أموت فقيرا دون أن أترك لك ثروة أو نقودا ، غير أنني كونت في حياتي صداقات حقيقية خالصة مع أناس عديدين ، عليك أن تعتمد على هؤلاء . انظر إلى الدول المختلفة من حولك في منطقة الخليج ، تجد أنها قد تساقطت بسبب الظلم أو سوء الإدارة ، ولكن إمارتي كانت دوما تقوى وتتسع . تمسك بسياستي ، ومع

أنك بالصحراء ومع أنك محاط بقبائل كانت ذات يوم معادية ، وهي مازالت حتى يومنا هذا غير مستقرة أو متحضرة ، فلسوف تتقدم مشيختك وتزدهر» (نقلا عن "تاريخ الكويت الحديث" ، ص ٢٠٥-٢٠٦) .

ويقول في فقرة أخرى من رحلته :

«استطاع شيوخ الكويت أن ينشؤوا ميناء مزدهراً ، جعلوه ملجأ للمضطهدين ، وبيتا آمنا لكل من أمّه» .

إن الصراع الدولي في منطقة الخليج قد اشتدّ في نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، وهي الفترة التي بلغت فيها الرأسمالية مرحلة الإمبريالية ، وما عرفت به من مخططات استعماريّة جديدة ، وهنا تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الكويت السياسي ، وليس من المبالغة أن نصفها بأنها مرحلة بناء الدولة الكويتية الحديثة بقيادة مبارك بن صباح (١٨٩٦-١٩١٥م) المعروف بمبارك الكبير .

مبارك الكبير والصراع الدولي في منطقة الخليج

ألمحنا قبل قليل إلى اشتداد الصراع بين القوى الأوروبية الكبرى في نهاية القرن التاسع عشر قصد السيطرة على منطقة الخليج العربي ، فقد انحصر الصراع قبل هذه المرحلة بين الدولة العثمانية وبريطانيا بالدرجة الأولى ، ولكن في نهاية القرن التاسع عشر دخلت حلبة الصراع قوتان أوروبيتان جديدتان : روسيا وألمانيا يتنافسان مع الإنجليز لتوزيع تركة «الرجل المريض» : الإمبراطورية العثمانية ، فبعد أن توحدت ألمانيا عام ١٨٧٠م طمع رجلها القوي في مستعمرات آسيوية وإفريقية ، وسعى إلى الحصول على احتكارات ألمانية في مناطق النفوذ العثمانية ، وبرز ذلك في محاولة تنفيذ مشروع الخط الحديدي : برلين - بغداد ، واقترح الألمان على السلطان عبد الحميد إنشاء سكّة حديدية تربط البسفور بالخليج العربي بعد أن تمّ ربط اسطنبول ببرلين بخط حديدي ، وأن تكون الكويت هي المحطة النهائيّة لهذا الخط ، وحلّ وفد ألماني بالكويت للحديث مع مبارك الكبير بعد أن حصل الألمان على موافقة الباب العالي ، وجاء موقف حاكم

الكويت واضحا لا لبس فيه ، إذ أعلم الوفد بأن أهل الكويت لن يبيعوا ، أو يؤجروا أرضهم لأي أجنبي ، وأن موافقة اسطنبول على المشروع لا تعنيه لا من قريب ولا من بعيد ، ذلك أنه لا يعترف بسيادة السلطان على أرض الكويت .

حاولت روسيا القيصريّة في الفترة ذاتها أن تمدّ نفوذها إلى منطقة الخليج فمنحت حكومة الباب العالي الكونت كابنيست الروسي امتياز إنشاء خط حديدي يربط مدينة طرابلس على البحر الأبيض المتوسط بالكويت عبر حمص وبغداد ، وقلق البريطانيون من هذا المشروع لأنه يعني فتح الباب لتغلغل النفوذ الروسي في بلاد الشام والعراق ، ومنطقة الخليج فتصدوا له وأحبطوه ، وكان للمعاهدة التي عقدها الشيخ مبارك الصباح في ٢٣ يناير ١٨٩٩م بين الكويت والحكومة البريطانية ، أثرها في ضمان استقلال الكويت واستمرارها كقوّة سياسية وتجاريّة متميّزة في المنطقة ، واضطرّ إلى بعض التنازلات التي نصّت عليها المعاهدة مقابل أن تحافظ الكويت على استقلالها تجاه القوى الأوروبية الأخرى من جهة ، وتجاه السياسة العدائيّة للباب العالي ، وولاّته في بغداد والبصرة من جهة أخرى .

تزييف الحقائق التاريخية:

إن من المعروف أن حكام بغداد قد نددوا أكثر من مرة باتفاقية ١٨٩٩م التي عقدها الشيخ مبارك الكبير مع بريطانيا مدعين أنها اتفاقية مزورة ، وغير معترف بها دوليا . كما جاء ذلك في رسالة عبدالكريم قاسم بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٦١م ، وهي الرسالة التي هنأ بها الشيخ عبدالله السالم بإلغاء الاتفاقية يوم ١٩/ ٦/ ١٩٦١م ، ولم يأت هذا التنديد بمعاهدة ١٨٩٩م من باب الحرص على استقلال بلد شقيق ومجاور ، بل للإشارة بوضوح ، كما جاء في نص الرسالة ، بأنها قد فصلت الكويت عن سيادة العراق ، وهي الخرافة التي روج لها كثير من المسؤولين العراقيين منذ العشرينيات حتى نظام صدام حسين .

ولعله من المفيد أن نقارن بإيجاز في هذا الصدد بين اتفاقية ١٨٩٩م ، والمعاهدة التي أبرمها عبدالرحمن النقيب رئيس وزراء العراق مع بريطانيا عام ١٩٢٢م لنلمس في يسر مدى التبعية والخضوع لتنفيذ مخططات الاستعمار البريطاني في العراق ، فقد

نصت المادة الثالثة من المعاهدة على إعداد قانون أساسي (دستور) يعرض على المجلس التأسيسي العراقي على ألا يحتوي ما يخالف نصوص المعاهدة ، وبذلك أصبح الدستور فرعا من أصل المعاهدة وتابعا لفصولها . في حين أنه تم إبرام معاهدة ١٨٩٩م لوضع حد لأطماع الباب العالي في الأراضي الكويتية ، وكل ما تنازل عنه الشيخ مبارك لا يتجاوز إعطاء تسهيلات لبريطانيا لاستعمال ميناء الكويت ، أما معاهدة ١٩٢٢م فقد تمت على حساب استقلال العراق ، وعلى حساب ضحايا المقاومة الوطنية العراقية ضد الاحتلال البريطاني ، بل بلغ الأمر إلى حد تسهيل أعمال المبشرين الكنسيين ، فقد نصت المادة ١٢ من المعاهدة على عدم التدخل في شؤون المبشرين .

اتهمت كثير من الوثائق الرسمية العراقية الشيخ مبارك الصباح بأنه قد تنكر للدولة العثمانية عندما أبرم المعاهدة مع الإنجليز ، وسكتت عن الطعنة النكراء التي طعنت بها الحكومة العراقية الدولة العثمانية عندما التزم عبدالرحمن النقيب ، وقد كان مسؤولا عن مشيخة الإسلام العثمانية في العراق ، بمنع

أتباعه من المشاركة في مقاومة جيش الاحتلال البريطاني ، وقبوله فيما بعد أن يكون رئيس وزراء الاحتلال تحت ولاية السير برسي كوكس .

وجاءت بعد ذلك المعاهدة التي وقعها نوري السعيد عام ١٩٣٠م مع الإنجليز أكثر حيفا وخضوعا لأوامر لندن ، فقد نصت بعض بنودها على إعطاء جميع التسهيلات والمساعدات لبريطانيا في حالة حرب أو خطر يهدد المصالح البريطانية ، كما منحت قواعد عسكرية للجيش البريطاني (راجع أسوار الطين ص ٩٤٩ وما بعدها) .

لا يمكن أن ننهي حديثنا عن فترة حكم مبارك الكبير دون الإشارة بإيجاز إلى الخطوات الرائدة التي أنجزها على درب تحديث المجتمع الكويتي ، فقد منح للإنجليز سنة ١٩١٣م امتياز التنقيب عن النفط واستخراجه في الكويت ، وفرض احترام القانون في المدينة ، وفي البادية معًا ، فاستتب الأمن ، وازدهرت التجارة ، وكانت تملك في هذه الفترة أسطولاً تجاريا ضخمًا

بوّأها مكانة مرموقة في التجارة البحرية في اتجاه فضاء المحيط الهندي ونحو شرق إفريقيا ، وأصبحت تمثل محطة نشطة في ربط المحيط بمرافئ البحر المتوسط عبر العراق ، ومدن بلاد الشام .

وبدأت في عهده الخدمات البريدية العصرية ، والتلغراف اللاسلكي ، كما عرفت الكويت الخدمات الطبيّة الحديثة ، وأسس عام ١٩١١م المدرسة المباركيّة لتكون النواة الأولى للتعليم الحديث .

وبعد وفاة مبارك الكبير في الثالث من يناير/ جانفي ١٩١٥م خلفه في الحكم ابناه جابر ثم سالم ، وقد وجدا الطريق ممهداً فتابعا مسيرة والدهما ، ثم تولى الحكم بعد وفاة الشيخ سالم سنة ١٩٢١م نجل الشيخ جابر المبارك الشيخ أحمد الجابر (١٩٢١-١٩٥٠م) ، وقد حكم البلاد ما يقرب من ثلاثين عاما ، وعرفت الكويت في عهده أحداثا كبرى ، من أبرزها قضيّة رسم الحدود وتثبيتها مع الدول المجاورة . ففي عام ١٩٢٢م تم توقيع معاهدة العقير بين الكويت والمملكة العربية السعودية التي تم فيها تخطيط الحدود الجنوبية . وفي عام ١٩٣٢م تم تبادل

الرسائل بين الشيخ أحمد الجابر ونوري السعيد رئيس وزراء العراق التي ثبتت بموجبها الحدود الكويتية العراقية . ومن هذه الأحداث تأسيس المجلس التشريعي في ٢٩ يونيو/ جوان ١٩٣٨م ليشارك الأمير في تسيير شؤون البلاد ، وجاء في قانون تأسيسه أن الشعب ممثلا في أعضاء المجلس المنتخبين هو مصدر السلطة .

إن وراء تأسيس المجلس التشريعي قصة طويلة ، ونضالا وطنيا خاضه الأحرار الكويتيون ضد الاستعمار الأجنبي ، وطالبوا بالإصلاح ليسدوا الباب على الإنجليز للتدخل في شؤون بلادهم ، وقد تزعمت هذا النضال جمعية سرية سميت «الكتلة الوطنية» ، وكان القنصل البريطاني الكابتن ديكوري حاقدا على أمير البلاد يومئذ الشيخ أحمد الجابر الصباح فحاول استغلال شكوى الأحرار الكويتيين من الوضع السائد في البلاد فشجع بعض الناس على كتابة عريضة يقدمونها له لرفعها إلى الحكومة البريطانية بعد أن يوقعها خمسون نفرا يطلبون فيها تغيير نوع الحكم ، ولما فشل في ذلك اتصل بجماعة «الكتلة الوطنية» فقالوا لمندوبه «إنهم لا يرون مطلقا إحداث أي تغيير في وضع العائلة

الحاكمة ، وأنهم لا يؤثرون بديلا لحاكمهم الحالي ، وإنما هم يصرون فقط على إدخال الحياة النيابية في الكويت» (راجع التفاصيل في كتاب خالد سليمان العدساني : نصف عام للحكم النيابي في الكويت) .

وبالرغم من أن المجلس لم يعمّر طويلا فقد كان خطوة تقدميّة رائدة في التاريخ السياسي العربي الحديث ، وتزامنت أحداث المجلس مع حدث كبير تجاوز تأثيره الحدث الأول ، وأعني اكتشاف النفط في الكويت سنة ١٩٣٨م ، وقد كان لذلك أثر بعيد المدى ليس في المجال الاقتصادي فحسب ، بل في المجال السياسي كذلك ، وقد أفاد الشيخ أحمد من تدفق هذه الثروة الجديدة في بناء نهضة البلاد التربوية والصحية ، واعتنى بالشؤون البلدية ، ونشر الشبكة الكهربائية ، وحرص كل الحرص على استقلال البلاد ، وقاوم محاولات الطامعين في ضمّها إلى نفوذهم .

إذا كانت ظروف الكويت لم تسمح يومئذ بأكثر من ظهور البوادر الأولى لتجربة ديمقراطية حديثة ، فإن الحركة الدستورية

قد أرست قواعدها الأولى الصلبة التي قامت عليها فيما بعد لتصبح تجربة ديمقراطية رائدة في العالم العربي .

الأطماع العراقية في الكويت:

ليس من المبالغة القول هنا ، ونحن نتحدث عن نشأة الكويت وتطوّرها : إن المجتمع الكويتي قد دخل مرحلة تحديث جديدة في عهد الشيخ عبد الله السالم (١٩٥٠-١٩٦٥م) حدّدت ملامح الكويت المعاصرة بعد أن وضع جده مبارك الكبير أسس الدولة الكويتية الحديثة فقد أحرزت البلاد استقلالها في ١٩ يونيو عام ١٩٦١م ، وتم إلغاء معاهدة ١٨٩٩م ، وأصبحت الكويت عضوا في الهيئات الإقليمية والدولية ، وعرفت كيف تستغل الثروة النفطية الجديدة من أجل بناء اقتصاد حرّ قوي ، ولتحقيق الرفاهية للشعب الكويتي . ومدّت الكويت في الوقت ذاته يد المساعدة إلى البلدان العربية التي لم تتوافر لديها ثروة نفطية ، وأصبحت الاستثمارات الكويتية في الأقطار العربية نموذجا للتعاون العربي من أجل مساعدة الشعوب العربية على

تحقيق برامجها في التنمية والتقدم . وبعد أن أصبحت عضواً في جامعة الدول العربية سعت بكل جهدها لدعم قيم التضامن بين الشعوب العربية ، ورفضت الدخول في تكتلات إقليمية تنسف هذه القيم ، وتغذي الخلافات بين الأشقاء ، ولقيت الكويت ، وهي تفاوض من أجل استقلالها ، عنتا شديداً من حكّام بغداد ، فقد ضغطوا لتنضمّ إلى «الاتحاد العربي» بين الأردن والعراق المعلن عنه في ١٤ فبراير ١٩٥٨م ، ولما رفضت الكويت الانضمام إلى الاتحاد طالب العراق بإعادة النظر في الحدود معها ، واستعان حكّامه بلندن ، وبواشنطن لإقناع الكويت بأهمية انضمامها إلى الاتحاد ، وكان هذا الاتحاد قد أسس للوقوف أمام سياسة عبد الناصر ذات البعد العروبي ، وجاءت ثورة يوليو ١٩٥٨م في العراق لتبدأ صفحة جديدة في العلاقات الكويتية-العراقية ، وأيّدت الكويت النظام الجديد في بغداد ، وصرّح نائب حاكم الكويت يومئذ الشيخ عبد الله المبارك مؤكّداً عمق العلاقات الأخوية بين العراق والكويت قائلا : «إن تلك العلاقات لم تكن قط مجرد علاقات عادية مماثلة لتلك التي تقوم

بين أي دولتين أخريين إنما هي علاقات أخوية حميمة قائمة على روابط قوية وقديمة تدعمها أواصر التفاهم التام والجيرة الحسنة" . وأشار إلى وجود جالية عراقية كبيرة بالكويت ، بقوله : "نحن نحب العراق والعراقيين ، ونسعى دائما لتأكيد الراحة لإخواننا المواطنين العراقيين العاملين بالكويت ونفتح قلوبنا لهم ، ونعطيهم كل فرص العمل ، ولم نميّز أبدا بينهم وبين الكويتيين ، ونعتبرهم أخوتنا ، ونقتسم معهم الرضا والصعاب . . ونعتبر هؤلاء المواطنين جزءا من شعبنا نكنّ لهم النوايا الحسنة . . وأن علاقاتنا ستتوسع أكثر من هذا ، ونحن لا نترك شيئا إلا وفعلناه من أجل تشجيع هذه العلاقات في كل المجالات» . (صقر الخليج ، ص٢١٥) .

ولكن ذلك الوئام لم يعمّر طويلا فلم تمض على تبادل الوثائق الخاصة بإعلان الاستقلال الرسمي لدولة الكويت بين الشيخ عبدالله السالم ، والمقيم البريطاني يوم ١٩ يونيو ١٩٦١م إلا أياما معدودات حتى طالب عبد الكريم قاسم في ندوة صحفية عقدها بوزارة الدفاع يوم ٢٥ يونيو ١٩٦١م بضمّ

الكويت للعراق باعتبارها مقاطعة تابعة لمحافظة البصرة ، وأنها تعتبر جزءا لا يتجزأ من العراق ، وأنه لن يتنازل قيد أنملة عن أي شبر من الأراضي الكويتية ، وزعمت حكومة بغداد أن اتفاق ١٩/ ٦/ ١٩٦١م يعتبر استمرارا للحماية البريطانية على الكويت ، وأصدرت حكومة الكويت بيانا جاء فيه : «إن الكويت دولة عربية مستقلة ذات سيادة كاملة معترف بها دوليا ، وإن حكومة الكويت ، ومن ورائها شعب الكويت بأسره ، مصممة على الدفاع عن استقلال الكويت وحمايتها» .

وحشدت بغداد جيوشها على حدود الكويت ، وقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الدول التي اعترفت باستقلال الكويت ، ومن بينها الجمهورية التونسية ، وقد جاء موقف تونس واضحا منذ اللحظة الأولى ، والمتمثل في رفض أي محاولة تهدف إلى الاعتداء على دولة مستقلة ، وتهديد وحدتها الترابية ، وتحسنت العلاقات الكويتية - العراقية غداة الإطاحة بنظام عبد الكريم قاسم يوم ٨ فبراير ١٩٦٣م ، فاعترفت العراق باستقلال دولة الكويت ، وسيادتها التامة على حدودها التي حددتها رسالة

رئيس الوزراء العراقي بتاريخ ٢١ يوليو ١٩٣٢م ، وتم الاتفاق على التبادل الدبلوماسي بين البلدين على مستوى السفراء ، وسعي الحكومتين من أجل دعم علاقات الأخوة والجوار بين البلدين ، وعادت أزمة ترسيم الحدود مرة ثانية ، وطالب الرئيس العراقي عبد السلام عارف عام ١٩٦٥م بأن تؤجر الكويت للعراق جزيرة وربة لمدة ٩٩ سنة فرفضت الكويت الطلب . وفي سنة ١٩٦٦م تكرّرت الأزمة لما اخترقت فرقة عسكرية جزيرة بوبيان الكويتية ، ولما وصل حزب البعث إلى السلطة في العراق عام ١٩٦٨م حاول التعايش مع الأمر الواقع ، ولكنه امتنع عن ترسيم الحدود لتبقى مسألة الحدود ورقة ضغط يهدّد بها جاره في الجنوب عند الحاجة ، ولما تأزّم الوضع مع إيران عام ١٩٦٩م حول قضية شط العرب طلب العراق من الكويت السماح لفرق من قواته العسكرية بالتمركز في أراضيها بحجّة الدفاع عن ميناء أم قصر ضدّ أي اعتداء إيراني محتمل ، واستمر النظام البعثي في التهديد والابتزاز المالي فعاد بعد اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥م ، وقد تنازل العراق بمقتضاها عن جزء من شط العرب ، ليطالب بتأجير نصف جزيرة بوبيان لمدة ٩٩ سنة ، وأن تتنازل الكويت

عن جزيرة وربة مقابل اعترافه بالحدود بين البلدين ، ولكن الكويت رفضت التنازل عن شبر واحد من أراضيها ، ولما اندلعت الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠م وقفت الكويت بجانب العراق على المستوى الرسمي والشعبي ، وتدهورت علاقاتها بطهران يومئذ نتيجة دعمها للعراق .

وبالرغم من ذلك فقد استمرّ التهديد المقنع والمعلن ، وما كادت الحرب العراقية الإيرانية تضع أوزارها حتى كشف نظام بغداد عن نواياه الحقيقية فعاد إلى التهديد والابتزاز المالي ، ولكن لم يخطر على بال أحد أن يصل به الصلف والغباء السياسي إلى حدّ غزو عسكري لبلد عربي شقيق ومجاور ، وهكذا حصلت كارثة الثاني من أغسطس ١٩٩٠م ، ومثلت نقطة سوداء وتحوّلا جذريا في العلاقات العربية والدولية ، ولكن بالرغم من المحنة الكبرى التي عاشها الشعب الكويتي طيلة سبعة أشهر فإنه استطاع أن يتجاوز المحنة ، وأن يرنو إلى المستقبل ، مواصلا مسيرته فوق درب التحديث والتقدّم .

القسم الثاني

الكويت من الذاكرة

واجهة الكويت البحرية

القسم الثاني

الكويت من الذاكرة

عندما تشاء الصدف أن يزور المرء الكويت لأول مرة فإنه يقول عادة : إنّني سأشاهد بلداً من بلدان الخليج العربي وقد حباه الله بثروة نفطيّة ثرّة ، وأن حياة الناس قد تأثرت بذلك ، وخاصة الأجيال الجديدة ، وأنه سيتحوّل بالتالي إلى مجتمع نفطي استهلاكي ، أما إذا تلت ذلك زيارة ثانية ، وكان الزائر من ذوي التأمل في حياة الناس والمجتمع فإنه سيصبح قلقا متسائلا :

ما هي العوامل الكامنة وراء تفرّد الكويت بميزات خاصة خليجيّا وعربيّا؟ ويزداد السؤال إلحاحًا إذا رحل بين الزيارتين إلى بلد خليجي آخر .

سيبقى السؤال بدون جواب دقيق وواضح حتى وإن تلت الزيارتين زيارة ثالثة ، إن جوابا موضوعيا ، أو قريبا من الموضوعية يقتضي أمرين أساسيين :

أولا : الاطلاع على تاريخ هذا البلد ، والتعرّف إلى أحوال سكّانه قبل المرحلة النفطية .

ثانيا : الاحتكاك برجال النخبة فيه على اختلاف رؤاهم ومشاربهم الفكرية .

. . لقد سمحت لي صدف جميلة بزيارة الكويت مرات عديدة ، وهي زيارات ذات طابع ثقافي وجامعي بالدرجة الأولى ، وقد مكنتني من التعرّف عن كثب إلى جماعة رائدة في صفوف النخبة السياسية والفكرية والجامعية في المجتمع الكويتي ، وكلّما تكرّرت الزيارة عثرت على أجوبة مقنعة عن أسئلة سابقة بقيت ردحًا من الزمان دون جواب . أزعم اليوم أنني قادر على تحرير مجلد كبير من الذاكرة عن المجتمع الكويتي المعاصر ، ولكن هيهات ، فذلك يحتاج إلى مشروع يخطط له أوّلا ، ثم يتفرّغ له ثانيا ، وكم هو عدد المشروعات التي يخطط لها المرء ، ثم تبقى محفورة في الذاكرة ، أو مخطوطة فوق ورقة اصفرّ لونها ، وطواها النسيان ، فما كل ما يتمنّى المرء يدركه ،

وتسعفني الذاكرة في هذا المقام بما كتبه أحد رواد الحركات الإصلاحية العربية المؤرخ التونسي الشيخ أحمد بن أبي الضياف في مقدمة كتابه الشهير «إتحاف أهل الزمان . . .» ، وقد ألفه وهو في خريف العمر ، قال : لست من فرسان هذا المجال " لاسيما والشبيبة ولت ، والقريحة كلّت ، والقوى ألقت ما فيها وتخلّت ، لكن وراء قصوري عين الرضى ، ومن عادات الكرام الإغضاء» .

إن انكبابي على البحث التاريخي ، وعلى مناهجه المختلفة سنوات عديدة جعلني أدرك مدى أهمية نصوص الذاكرة التاريخية ، فهي تميط اللثام عن نقاط غامضة ، وعن مسائل مسكوت عنها ، ولا غرو في ذلك فهي تؤرخ لما أهمله التاريخ ، فكم من قضايا تاريخية شائكة ذهب في تفسيرها وتعليلها المؤرخون مذاهب شتى ، ثم يعثر الدارس على وثيقة مجهولة ، أو على نص في مذكرات من عاش الحدث الغامض فيتضح الأمر ، ويتبيّن أنه أبسط وأهون مما ذهب الدارسون في تفسيره طيلة حقب متعاقبة .

إنني حريص على كتابة هذا النص من الذاكرة لأسهم في توضيح ما يتسم به المجتمع الكويتي المعاصر من سمات تميّزه خليجيًا وعربيًا عساه يساعد العارفين بهذا البلد ، أو الزائرين له على الظفر بأجوبة حول أسئلة تقفز إلى أذهانهم باستمرار .

* * *

تمت الزيارة الأولى في مطلع الثمانينيات بمناسبة اجتماع المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب ، وكان مقره في بغداد يومئذ ، وكنا في ضيافة رسمية كريمة ، وحظي الاتحاد بمساعدة كويتية سخيّة ، ولما استقبلنا أمير البلاد سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح شرحنا له أهداف الاتحاد ، ومن أبرزها خدمة الحقيقة التاريخية ، والتركيز في أبحاث المؤرخين العرب على ما يجمع ويوحّد ، وإغفال كل ما يفرّق ويشتّت بين الشعوب العربية إيمانا برسالة المؤرخ في دعم أواصر الأخوة والتضامن من أجل مناعة الأمة العربية ، وإنجاز خطوات رائدة فوق درب التقدّم والحداثة ، ولم نجد منه تأييدا لتحقيق أهداف الاتحاد فحسب ، بل طلب من ممثل الكويت في المكتب الدائم أن يضع تحت تصرّف الاتحاد كل

ما يحتاجه لينهض برسالته في خدمة قضايا العروبة والإسلام .

وتدور الأيام ليتحوّل الاتحاد إلى خليّة مسخرة من خلايا القيادة القطرية لحزب البعث في العراق ، فغادره الأعضاء المؤسسون ، وحلّ محلّهم المتهافتون ، والراكضون وراء الركب السلطاني ، وشوهد أمينه العام في مدينة الكويت أياما قليلة قبل الغزو العراقي ضمن مجموعة كبيرة أرسلت لضبط أحوال البلد في مجالات مختلفة قبل أن تدق ساعة الصفر ، فقد خطط للغزو منذ فترة طويلة .

وكان الاتحاد من بين المؤسسات ذات الطابع العربي التي سخرت لتزييف التاريخ فأصدر أوراقا صفراء كتبها مؤرخون من الدرجة العاشرة حاولت أن تثبت أن الكويت كانت تابعة للبصرة أيام العثمانيين !

إنه من المعروف أن جميع النظم السلطويّة الشمولية قد حرّفت الحقائق ، وزيّفت التاريخ لتضخم دور «القائد المهيب» ، و«الزعيم الملهِم» (بكسر الهاء) ، أو لتبرّر أهدافا توسعية كما فعل

هتلر لما غزا النمسا ، وبولندا ، ثم ما معنى تبرير احتلال بلد مستقل ، وعضو في المنظمات الإقليمية والدولية ، احتلاله في نهاية القرن العشرين ، بحجج تاريخية تعود إلى ماض سحيق ، ولو اعتمدت الوثائق التاريخية حتى لو كانت صادقة في المطالبة بأراضي الغير بحجة أنها كانت يومًا ما تابعة لهذا البلد ، أو ذاك لكانت النتيجة بداية عصر من الغزو بين الأقطار العربية لا نعرف له نهاية ، فكثير من البلدان العربية امتدت حدودها قبل المرحلة الاستعمارية إلى جزء من هذا البلد أو ذاك ، والظاهرة أحدث من ذلك بكثير بين الدول الأوروبية ، فكثير من الأراضي البولندية استولى عليها الاتحاد السوفياتي غداة انتصاره مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، واستولت بولندة نفسها على أراضي كانت تابعة لألمانيا قبل هزيمتها ، فهل يمكن أن يتصوّر المرء اليوم غزوًا ألمانيا لمنطقة اللوران والألزاس بحجة أنها كانت مدة طويلة في التاريخ تابعة لألمانيا ، وغيرها من الأمثلة .

النظم الاستبدادية وحدها التي ترتكب مثل هذه الحماقات ، أما أن يجنّد «مؤرخون» أقلامهم لتزييف التاريخ ، وقلب الحقائق

فتلك هي الطامة الكبرى ، إنه من المعروف أن النظم الديكتاتورية تجد في جميع العصور أقلامًا مأجورة تخدم ركابها . وأكتفي في هذا الصدد لدحض الحجة التاريخية التي يزعم أصحابها أن الكويت كانت تابعة للبصرة في العهد العثماني بما جاء في مذكرات المصلح والسياسي العثماني المعروف مدحت باشا (١٨٢٢ـ ١٨٨٣م) حول هذه المسألة ، وهو العارف جيّدًا بتاريخ العراق في المرحلة العثمانية ، كتب في مذكراته يقول عن الكويت والكويتيين :

«ولم تكن الكويت تابعة لحكومة ، وأراد نامق باشا إلحاقها بالبصرة فأبى أهلها ، ذلك لأنهم تعودوا عدم الإذعان للتكاليف ، والخضوع للحكومات . . فهم شبه جمهورية» .

دور الخواص في النهضة الثقافية:

زرت الكويت مرة أخرى لما تم اختياري عضواً مؤسسًا في «جماعة الدراسات العربية في التاريخ والاجتماع» ، وهي جماعة غير رسمية أسستها نخبة من الأكاديميين الكويتيين خدمة

للبحث العلمي العربي ، متحرّرًا من الوصاية الحكومية ، والمعوقات الروتينية ، وهي تجربة متميّزة إذ تحالف في تأسيسها الفكر الحرّ المستقل ، ورأس المال الخاص الواعي بدور الفكر ، والبحث العلمي الرصين في تحقيق التقدّم والتحديث .

تطوّع واحد أو أكثر من أصحاب الثروة في الكويت لتمويل دراسات عميقة وجدّية في قضايا التاريخ والاجتماع عبر عصور التاريخ العربي المختلفة ، وضمت الجماعة الصغيرة رادة الفكر والبحث في الأقطار العربية ، ومما لفت نظري يومئذ أن المموّلين لم يبحثوا عن النجوميّة ، أو حتى الظهور في الواجهة ، فقد حرصوا أن يكونوا من جنود الخفاء ، فلم نعرف أسماءهم ، بل عهدوا إلى باحث معروف من بين الجامعيين الكويتيين ليكون واسطة بيننا وبينهم ، ونشرت الجماعة بعضا من الدراسات المبرمجة ، ولكن جشع بعض المثقفين العرب تسبب في فشل المشروع .

سردت هذه القصة لأقف عند ظاهرة يتميّز بها بعض أغنياء

الكويت ، وأعني ظاهرة إنشاء مشروعات ثقافية ذات طابع عربي ينفقون عليها بسخاء إيمانا منهم بأهميّة العامل الثقافي في النهضة العربية .

ومن أبرز هذه المؤسسات التي كان لها أثر بعيد المدى في دعم البحث العلمي ، والمشروعات الثقافية بصفة عامة «مؤسسة الكويت للتقدم العلمي» ، وهي مؤسسة خاصة ذات نفع عام بادر بتأسيسها عام ١٩٧٦م صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح ، وقد كان يومئذ وليا للعهد ، ورئيسا لمجلس الوزراء ، وساهمت غرفة تجارة وصناعة الكويت في دعم المؤسسة ماديا ، ومن أبرز أهدافها :

- تقديم العون للقائمين على التنمية الفكرية .
- مساعدة القائمين على البحوث العلمية المتخصصة ذات المستوى الرفيع .
- تقديم المنح الدراسية والجوائز التشجيعية للدارسين والباحثين في المجالات المختلفة .

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

- دعم روح التكافل بين الأجيال في الكويت .

ومن هذه المؤسسات الثقافية الخاصة «دار سعاد الصباح للنشر» وهي ليست دار نشر تجاري ، كما قد يبدو من اسمها ، بل هي مشروع ثقافي كويتي عربي كانت له رسالة نبيلة في خدمة الثقافة العربية الإسلامية طيلة العقدين الماضيين ، فتشرف الدار على تنظيم مسابقات الشيخ عبدالله المبارك الصباح للإبداع العلمي ، ومسابقات الدكتورة سعاد الصباح للإبداع الفكري والأدبي ، وهي مسابقات تهدف أساسا إلى تشجيع المبدعين الشبان العرب ، كما قدمت الدار الدعم إلى المؤسسات الثقافية العربية في مشرق العالم العربي ومغربه ، ونشرت عشرات الكتب في شتى مجالات الإبداع والمعرفة ، وأعادت نشر عدد كبير من مؤلفات التراث ، ومن أبرز ما أنجزته إعادة طباعة مجلة «الرسالة» المصرية البالغ عددها ألفا وعشرين عددا ، وهي المجلة التي غذت ثقافيا أجيالا من المثقفين العرب مشرقا ومغربا طوال عشرين سنة .

وأسست الدار مشروعا رائدا وفاء واعترافا بالجميل لرواد حركة التنوير العربية فأصدرت كتبا تكريمية لهؤلاء الرواد نذكر منهم عبدالعزيز حسين، وإبراهيم العريض، ونزار قباني، وثروت عكاشة، وعبدالله الفيصل، وعبدالكريم غلاب.

ومن هذه المؤسسات التي أصبح لها صدى بعيد المدى في الساحة الثقافية العربية والدولية «مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري» التي أسست عام ١٩٨٩م ، وتخصصت في العناية بالشعر العربي فأولت عناية خاصة لإحياء التراث الشعري القديم إلى جانب اهتمامها بالشعر الحديث ، وتشجيعها للشعراء العرب الشبان ، وقامت بتكريم عدد كبير من الشعراء ، ونظمت ملتقيات دولية باسم شعراء رواد أمثال : أبو القاسم الشابي ، ومحمود سامي البارودي ، وأحمد مشاري العدواني ، والأخطل الصغير ، وأبو فراس الحمداني ، وعلي بن المقرب العيوني .

ومن أبرز ما أنجزته هذه المؤسسة الرائدة إصدار معجم البابطين للشعراء العرب .

وأميل إلى الاعتقاد أن السبب الكامن وراء الظاهرة فيما يتعلق بحالة الكويت يرجع إلى ما عرفت به فئة التجار الكبار في هذا البلد من استنارة ، وتفتّح على العالم الخارجي منذ حقب تاريخية طويلة ، فقد جمعت ثروتها أساسا من التجارة البعيدة المدى ، أي من التجارة الدولية كما تسمى اليوم ، فالسفر المتواصل ، والاحتكاك بثقافة الشعوب الأخرى قد أثرا في ثقافة هذه الفئة ، وفي نظرتها إلى الحياة ، وهذا ما يفسّر استنارتها ، وعداءها للغلو والتطرّف منذ فترة مبكرة .

اعتمد النشاط الاقتصادي لأبناء الكويت قبل المرحلة النفطية على مهنتين أساسيتين : مهنة الغوص وقصصها الجميلة ، ومغامراتها الصعبة ، ومهنة التجارة ، واعتمدت بالدرجة الأولى على المسالك البحرية ، ومثلت الكويت همزة وصل نشطة في منطقة الخليج بين التجارة البحرية وتجارة القوافل رابطة بذلك بين فضاء المحيط الهندي ، وسواحل البحر المتوسط ، فقد كانت القوافل تنقل البضائع من مرفأ الكويت في اتجاه شواطئ بلاد الشام عبر البادية ، إلى حلب فدمشق ، ثم في اتجاه مرافئ البحر المتوسط .

كتب المثقف الكويتي الكبير ، ورجل الدولة المرحوم عبدالعزيز حسين عن تأثير مهنتي الملاحة والتجارة في ذهنية الكويتيين ، وفي تقاليدهم يقول :

إن اعتمادهم على المهنتين المذكورتين لتأمين حياتهم أكسبهم «تفتحا ذهنيا واستعدادا خاصا لتقبل كل جديد مفيد ، كما صاروا واقعيين في معالجة أمورهم وممارسة أعمالهم ، فلا يذهب بأحدهم الخيال حتى يغيب عن أرض الحقيقة ، ولا يتطوح وراء الأماني العراض حتى تنقطع صلته بالواقع ، وأصبح قياسهم للأشياء بمقدار ما تؤديه من منفعة أو ضرر مادي ، فقل بينهم التعصب الديني والتعصب المذهبي ، ولم يجد أولياء الله الصالحون ، ولا رجال التصوف مكانا لهم في الكويت ، كما لم توجد قبور تزار أو قباب تقدس ، ولم يدفن في مسجد من مساجد الكويت صالح من الصالحين أو محسن من المحسنين ، بل اتسمت المساجد والجوامع بالبساطة التي يدعو إليها الدين في أماكن العبادة ، كما كانت سمات البساطة واضحة في المآتم والأفراح في الكويت إذ لا تجد طقوسا معقدة بل تسلك مسلكا

عمليا واقعيا . فقد يتزوج الكويتي ليلا ثم يعود إلى ممارسة عمله في الغد ، وقد يودع عزيزا عليه في مثواه الأخير ثم يستأنف عمله في سفينته أو دكانه» .

دخلت مهنة الغوص مع تدفق الثروة النفطية إلى المتاحف الأثريّة ، وإلى بطون الكتب ، وحافظت عليها ذاكرة الشيوخ ، أما التجارة فقد أخذت بُعداً جديداً هو البعد الدولي المعاصر ، والارتباط بعواصم الغرب الكبرى ، مفيدة من التقاليد القديمة : تقاليد التفتح على حضارات الشعوب ، وأسباب تقدّمها .

* * *

ومن الزيارات التي بقيت راسخة في الذاكرة تلك التي مكنتني من التعرّف إلى رائد عملاق من رواد نهضة الكويت الحديثة هو المرحوم عبد العزيز حسين ، فقد دعاني للإسهام في إحدى الندوات الفكرية التي أقامها إعداداً لوضع «الخطة الشاملة للثقافة العربية» ، وقد عهد إليه وزراء الثقافة العرب برئاسة لجنة وضع الخطة التي اتخذت من الكويت مقرّا لها ، وأنفقت عليها

المرحوم عبد العزيز حسين

بسخاء ، فقد عقدت اللجنة برئاسته سبعا وعشرين ندوة حول مختلف موضوعات الثقافة العربية شارك في أعمالها ما بين ١٩٨٢م و١٩٨٤م حوالي ستمائة من كبار المثقفين العرب ، وقد استطاع عبد العزيز حسين بحكمته ، وتجربته الثرية أن يوفق بين شتّى الآراء والنزعات .

ويمكن القول : إن صدور «الخطة الشاملة للثقافة العربية» جاء تتويجا لجهوده المتواصلة في سبيل نهضة الثقافة العربية ، وقد سبقها جهده في إنشاء «المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب» عام ١٩٧٣م ، وبالرغم من أنه مؤسسة ثقافية كويتية ، فقد تحول مع مرور الزمن عبر منشوراته المتميّزة ، ومهرجانه السنوي "القرين" إلى منارة بارزة من منارات الثقافة العربية المعاصرة ، كما كان له دور بعيد المدى في تأسيس منبرين من منابر الثقافة العربية الإسلامية في أوروبا : "معهد العالم العربي" بباريس ، و"معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية" بمدينة فرانكفورت ، وارتبط اسمه بشكل أو بآخر بتأسيس جامعة الكويت ، وكليّة العلوم والتكنولوجيا بالقدس ، وبنشاطات

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ، واللجنة الدولية للعقد العالمي للتنمية الثقافية ، وغيرها من المؤسسات التربوية والثقافية العربية والدولية .

الكويت وحركة التنوير العربي:

آمن عبد العزيز حسين منذ أن أسس في القاهرة عام ١٩٤٦م مجلة «البعثة» برسالة التربية والثقافة في إرساء أسس حركة التنوير العربية ، وبقي مؤمنا بدور التنويريين العرب إلى آخر لحظة في حياته رغم الهزات العنيفة ، والمحن المؤلمة التي عرفتها الأمة العربية في تاريخها المعاصر ، فلما حضرت ديوانيّته قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى بفترة قصيرة فوجئت بتفاؤله رغم وطأة المرض ، ولفت نظري إيمانه العميق بأن الكلمة الأخيرة ستكون لرواد حركات التنوير العربي ، فهم القادرون وحدهم على البناء ، وتحقيق التقدم ، لخص المفكر الكويتي المعروف سليمان إبراهيم العسكري رؤية عبد العزيز حسين قال : «ولم يقيد عبدالعزيز حسين نفسه أثناء هذه الفترة ، وربما طوال حياته

العدد الأول من مجلة البعثة القاهرة ١٩٤٦م)

أيضا ، بالانتماء إلى رؤية حزبيّة ، أو إيديولوجية ، لكنه انتمى بكلّ وجدانه ، مثله في ذلك مثل كبار المنورين العرب ، إلى تيار عريض وقف مع النضال الوطني في مواجهة الاحتلال ، ومع النهضة في مواجهة التخلّف ، ومع الحرية في مواجهة الاستبداد ، ومع التنوير في مواجهة الإظلام» .

وقد أشرف الدكتور العسكري على إصدار مجلد ضخم نشرته "دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع" تحت عنوان "عبدالعزيز حسين وحلم التنوير العربي" ، وقدمته له صاحبة الدار الأديبة الكويتية المعروفة الدكتورة سعاد الصباح وفاء لأستاذ الأجيال في الكويت ، وتقديراً لجهوده في خدمة الثقافة العربية الإسلامية ، وتأكيدا لها ، وهو في خريف العمر ، وقبل وفاته بزمن قصير إيمانا بأن أحلام التنويريين العرب ، وفي مقدمتهم حلم عبد العزيز حسين سترى النّور يوما ما .

* * *

شرفت في مناسبة أخرى بدعوة من جامعة الكويت لأقوم

بتقييم الدراسات التاريخية محتوى ومنهجا ، وبعد دراسة وثائق كلية الآداب ، ومقررات قسم التاريخ بها أقمت أسبوعا كاملا في حوار عميق وثري مع أساتذة القسم وطلبته ، ووفرت لي الجامعة حرية الاتصال بمن أشاء ، ومتى أشاء ، وكذلك حضور الدروس متى رأيت فائدة في ذلك ليجمع تقرير التقييم بين دراسة النصوص ، والمعايشة الشخصية ، وعلمت هناك أن جامعة الكويت قد سنت لها سنة هدفها تقييم الكليات وشُعبها كل خمس سنوات من جامعيين وباحثين يدعون لهذه المهمة من خارج الكويت للإفادة من تجارب الآخرين ومناهجهم ، وإنني معتز بعلاقات الصداقة والتعاون التي تربطني بالجامعيين الكويتيين ، وخاصة أساتذة قسم التاريخ ، وقد درَّس به في مرحلة التأسيس أصدقاء من كبار المؤرخين العرب المعاصرين (منهم د . حسين مؤنس ، ود . شاكر مصطفى ، ود . أحمد مختار العبادي ، ود . سعد زغلول عبدالحميد ، ود . نور الدين حاطوم ، وغيرهم) ، وأخذ عنهم المشعل جيل رائد من المؤرخين الكويتيين ، وأوّل رواية سمعتها ، وأنا أتجوّل في اليوم الأوّل بمبنى

القسم أنه قد رمم ، وجهز من جديد لأنه قد دمر ونهبت مكتبته أيام الغزو العراقي ، فالنظم الاستبدادية لا تزيف التاريخ فحسب ، بل تسعى جاهدة لطمس مصادره . ولما حاولت التعرّف إلى ماضي الدراسات التاريخية في الكويت وقفت طويلا عند مؤرخ بارز من مؤرخي الكويت في النصف الأول من القرن العشرين ، وهو الشيخ عبدالعزيز الرشيد (١٨٨٧ - ١٩٣٨م) فهو من دعاة الإصلاح والتجديد ، ورغم اعتداله ، وتمسكه بالقيم الإسلامية فقد أهدر الغلاة دمه ، وتجاوزت جهوده في سبيل الدعوة الإصلاحية حدود الكويت ، فهاجر إلى أندونيسيا ، وسنغافورة ، وأسس مجلات هناك ، وأصدر عام ١٩٢٨م مجلة "الكويت" ، ونشر كتابه الشهير "تاريخ الكويت" في بغداد سنة ١٩٢٦م ، واستقبل في بلده عددا كبيرا من المصلحين والمثقفين العرب ، وكان في مقدمتهم الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي (١٨٧٦ - ١٩٤٤م) في رحلته الشهيرة إلى الجزيرة العربية في طريق عودته من الهند .

الكويتيون يرحبون بالزعيم التونسي الثعالبي:

اهتزت الكويت وأهلها لزيارة الثعالبي أحد زعماء الإصلاح فاستقبله في الميناء وجهاء الكويت وأدباؤها ، وفي مقدمتهم صديقه الوفي عبد العزيز الرشيد ، وقد تحدث طويلا في كتابه "تاريخ الكويت" عن هذه الزيارة قال عن الثعالبي :

«آخر أولئك المصلحين الأفذاذ زعيم كبير وأستاذ محقق وبطل مقدام وعالم من العلماء المحققين ، وسياسي أخرس الساسة المحنكين ، ومخلص له في كل حركة أثر محمود وخطيب مفوه يحق للشرق أن يفاخر به الغرب وأبناءه ، ولا غرو فالزعيم التونسي الشيخ عبد العزيز الثعالبي من رجال الشرق المعدودين ، ومن زعمائه الكبار الذين تنجاب الغياهب لبوادر هداهم ومعرفتهم ، زعيم لا يسمح الوقت بكثير من أمثاله ، زار هذا الأستاذ الكويت في ذي القعدة سنة ١٣٤٣م ونزل ضيفا كريما على آل خالد الكرام ، وهناك مدها بسلك كهرباء الحياة ، وأجرى فيها روح الحركة والنشاط وتركها متحفزة لنهوض

الزعيم التونسي الشيخ عبد العزيز الثعالبي

مدهش وتقدم غريب بما كان يجود به على المحتاجين لفضله إن في مجالسه العامة أو في خطبه البليغة التي تفضل بها في احتفالات الكويتيين به ، نعم فالأستاذ الثعالبي له من قوة الحجة والعارضة ما ليس لأحد من أقرانه ، وله من التأثير ما يندر أن يفوز به أحد سواه ، له تأثير في كلامه ومنطقه ، وتأثير في سكوته وحركته ، وله فوق ذلك ما يبهر العقول ويحسر الألباب ويضطر الخصم العنيد أن يطأطئ رأسه أمامه» .

ويقول الشاعر الكويتي سليمان العدساني مرحبا بالزعيم التونسي بمناسبة حفل التكريم الذي أقامه على شرفه "النادي الأدبي" :

أنت عبد العزيز أعلى مقاما كلما رمت وصفكم في كلامي

يالقومي ، وما عهدت كراما ألفوا الذل فانهضوا باعتزام

من لحمل اللوا وصد الأعادي من لصوص الحمى ورعي الذمام

ليس عيش الجبان يا قوم عيشا فدعوا الجبن وانهضوا للأمام

ومن المعروف في تاريخ الحركة الإصلاحية بالكويت فيما بين الحربين العالميتين أن المواجهة كانت شديدة بين رموز الغلو والتطرّف من جهة ، ودعاة الإصلاح والتجديد من جهة ثانية .

وقد مكّن افتتاح "النادي الأدبي" عام ١٩٢٤م دعاة الإصلاح من منبر جديد ساعدهم على نشر أفكارهم المستنيرة ، والدعوة إلى الاهتمام بالعلم ، ونبذ الخرافة ، ومحاربة التخلّف والتزمت ، ومن هنا جاءت حفاوة النادي بزيارة رواد الإصلاح من البلدان العربية ، وأميل إلى الاعتقاد بأن زيارة الثعالبي إلى الكويت لم تتم صدفة ، بل خطط لها ، ولا شك أنه قد كان للمصلح التونسي الثعالبي علاقة برواد الحركة الإصلاحية الكويتية قبل زيارته عام ١٩٢٥م .

وقد ناصر الزعيم التونسي التيار الإصلاحي في الكويت ضدّ تيار الجمود والتزمت ، لذا نجد الشاعر الكويتي صقر الشبيب يستنجد به لعله يجد لديه العون لإسكات أصوات المتزمتين الذين تمسكوا بالقشور ، وتنكّروا لروح الاجتهاد

والتجديد في تراث الفكر الإسلامي قائلا :

هل في صحيح الدين ما يدعو إلى مُردي التفـرق والتعادي المتعـس

كـلا ولكـن ناصبـوه كفـة عكسـوه عمـدا ويلهم من عُكّس

مازال منهم في الكويت موسوس يدعـو إلى التفريق إثر موسـوس

فمن الذي من بعد واحد تـونس نرجـو لإسكات العوادي الرّجس

وأودّ أن ألمح هنا إلى أن الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي قد ساند في الكويت التيارين : التيار الإسلامي التجديدي ، والتيار القومي العروبي .

كانت إقامتي بجامعة الكويت فرصة لقراءة هذه الصفحات الخالدة في تاريخ العلاقات العريقة التي تجمع بين الشعبين الشقيقين : التونسي والكويتي .

الشاعر الكويتي صقر الشبيب

الشاعر محمود شوقي الأيوبي

تضامن الكويت مع حركات التحرر العربي:

أشرت قبل قليل إلى وجود تيارين حظيا بمساندة الزعيم التونسي ، ولكن لا مناص من تأكيد حقيقة تاريخية في هذا الصدد تثبت أن المجتمع الكويتي يعج بتيارات فكرية سياسية منذ الحرب العالمية الأولى حتى اليوم ، فهنالك تيار المحافظين ، وتيار المجدّدين في حقل المعرفة الإسلامية ، وهنالك التيار القومي العروبي على اختلاف نزعاته ، وهو تيار عريق في الكويت أخذ الصبغة التنظيمية مع تأسيس "كتلة الشباب الوطني" عام ١٩٣٨م ، وتفاعل أنصاره مع جميع القضايا العربية مشرقا ومغربا منذ العشرينيات ، فقد خلّد الشعر الكويتي الحديث ثورة الريف بزعامة عبد الكريم الخطابي ، ونضال الشعب الليبي بقيادة عمر المختار ، ويقول محمود شوقي الأيوبي في قصيدة خاطب فيها الزعيم عبد العزيز الثعالبي :

يا زعيم العـــــرب أنعشت بنـا أمـلا كـــاد يلاشيـه الذمـــــر
يا مثيـــــر العرب الأحـــرار في تونـــس الخضـراء لبتك الـزمـر
يا زعيـــــم العرب وثبـت بنـا ثـــورة التحرير من بعد الضجـر

أما الثورة الجزائرية فقد كان صداها بعيد المدى في الأوساط الكويتية ، وحظيت بعناية كبرى في الإعلام ، والنوادي السياسية ، فهذا الشاعر الكويتي الشهير صقر الشبيب يتأثر بالثورة الجزائرية فكتب قصيدته المشهورة في مطلع عام ١٩٦٢م بعنوان «يا أشقائي العرب» يحث فيها العرب على مناصرة أشقائهم المناضلين الجزائريين فيقول فيها :

دعوا الجزائر تلقى الويل والحربا ثم ادعوا أنكم مازلتم عربا

لو لم نزل عربا لم تلق إخوتنا من دوننا كل ما قد آد أو كربا

ولم نجد بينهم مِن عَن معونتهم بالنفس والمال لا بالقول قد هربا

وأصبح الكل منا جهد طاقته مخففا عنهم الأشجان والتعبا

مشاركا لهم في كل نازلة تستبذل الجهد منه صال أو وهبا

أما ويعرُب لو ظلنا بنيه رأت منا فرنسا شجا في حلقها نشبا

وما أحست وقد جاءت بفعلتها فينا فتى ضدها لم يستحل لهبا

إذا كان المغرب العربي قد لقي هذا الاهتمام الكبير لدى الكويتيين منذ العشرينيات رغم بعد المسافة ، وندرة وسائل

الاتصال يومئذ فإن المواطن الكويتي عاش أحداث المشرق العربي ، وكأنها حدثت أمام بيته ، فقد نشر الشاعر الكويتي خالد الفرج عام ١٩٢٨م قصيدة يشير فيها إلى وفاة الزعيم المصري سعد زغلول قائلا :

هذه مصر رماها دهرها ... برصاصات المنايا فأصابا

ثكلت بالأمس «سعدًا» بدرها ... فادلهمت ظلمة والبدر غابا

أما القضية الفلسطينية فقد اعتبرها الشعب الكويتي قضيته الخاصة منذ وعد بلفور حتى اليوم ، وخلّد الشعر الكويتي نضال الشعب الفلسطيني منذ العشرينيات ، ونجد لثورة ١٩٣٦م صدًى كبيرا في الشعر الكويتي المعاصر ، وخاصة في قصائد الشاعر صقر الشبيب ، وقد فتحت الكويت أبوابها أمام أبناء الشعب الفلسطيني غداة نكبة ١٩٤٨م ، وبعد احتلال الأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧م ، ومن المعروف تاريخيا أن منظمة التحرير الفلسطينية ، وحركة فتح بصفة أخص قد ولدت في الكويت ، وقد عبّر عن ذلك شعرا صديق الشعب الكويتي المرحوم عبد الحميد البسيوني قائلا :

قد ضمكم صـــــدرها حُنُوّ والدة وذاك ديدنها في القحـــــط واللين

ومن هناك كـانت خيبـة الأمل عـميقـة ، أيام محنة الغـزو العراقي . ارتكبت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية أخطاء كبرى ، وهذا ليس نادرا في تاريخ حركات التحرّر الوطني ، ولكن الخطأ الذي سيبقى نقطة سوداء في تاريخها هو وقوفها إلى جانب النظام الاستبدادي الدموي ببغداد يوم أن احتل بلدا مستقلا ذا سيادة ، وعضوا في جميع المنظمات الإقليمية والدولية ، لم يجد جميع العقلاء تبريرا لموقف القيادة الفلسطينية يومئذ ، كيف يمكن لقيادة تناضل ضدّ الاحتلال أن تؤيد احتلالا عسكريا مهما كان لونه ، ومهما كانت مزاعمه . من يؤيّد الاحتلال تسقط من يديه حجته السياسية والقانونية في مقاومة المحتل ، ويتساءل المرء اليوم : هل وصل الطرش السياسي إلى درجة تصديق الخرافة التي روّجها يومئذ النظام العراقي ، والتي تزعم أن احتلال الكويت سيؤدي إلى تحرير فلسطين ، وهي خرافة لم يصدّقها حتى السذج من الناس .

وأسمح لنفسي هنا بسرد القصة التالية : كنت جالسا في صيف ١٩٩٠م بعد حصول كارثة الغزو بأيام معدودات رفقة بعض الإعلاميين والمربّين في مقهى بميناء صيد بحري ، وربط من لا يفقه في شؤون السياسة شيئا بين غزو الكويت وتحرير فلسطين ، وكان أحد الصيادين مفترشا الأرض بالقرب من حلقة النقاش فاستأذن في إلقاء سؤال علينا قائلا : إنني رجل بسيط ، لا علم لي بالسياسة ، ولا أعرف الجغرافيا ، وبالتالي لا أعرف أي تقع الكويت أو العراق ، ولا أين تقع بالضبط فلسطين ، ولذا اسمحوا لي أن أسأل : هل أن الجيش العراقي يجب عليه أن يمر من الكويت لتحرير فلسطين؟

قلت للجماعة عندئذ : إن هذا الصياد الأمّي قد لقنكم درسا بليغًا في السياسة .

إن الأحداث التي عاشها العالم العربي منذ حرب الخليج الثانية حتى اليوم قد برهنت بوضوح على مدى التأثير السلبي لغزو الكويت في الأوضاع العربية ، أما الخاسر الأكبر فهو -

دون ريب - قضية الشعب الفلسطيني ، وهل بعد العيان من بيان؟

تحدث المرحوم عبد العزيز حسين عن اهتمام الكويتيين بقضايا الأمة العربية قال : «الرواد الذين قاموا في الأربعينيات والخمسينيات في منطقة الخليج كانوا صادقين مع أنفسهم على قلتهم ، وكان من مميزاتهم أنهم لم يكونوا في يوم من الأيام محصورين في نطاق بيئاتهم الصغيرة الإقليمية . . . كانوا دائما ينظرون إلى مشكلاتهم باعتبارها مشكلات تمثل جزءا من مشكلات الأمة العربية ، وربما كانت مشكلات الأمة العربية في أرجائها البعيدة . . . تشغلهم ، وربما شغلتهم أيضا عن مشكلاتهم الخاصة والإقليمية» .

ولا يمكن أن نغفل في هذا الصدد عن الإشارة إلى تيار له تقاليد راسخة في المجتمع الكويتي ، وأعني به التيار الليبرالي الديمقراطي ، ونجد في صفوف أنصاره اتجاهات مختلفة ، بل ذهب بعضهم بعيدا فطالب باتخاذ الثورة الفرنسية مثالا

يحتذى ، واعيا بالعامل الفكري الذي مهّد للثورة ، فدور روبسبير لا يتعدى تنفيذ ما نادى به فلاسفة عصر الأنوار من قيم وأفكار ، فهذا الشاعر الكويتي خالد الفرج يرى أن القوة وحدها لا تكفي لتحقيق الهدف ، فلا بدّ أن تسند بالعلم والفكر :

لا مجـــد إلاّ بالعلـــوم ونشرها في الشعب حتى ترتقي طبقـــاته
فهناك ثُر إن النجـاح محقـــق والسير منك ســـديدة خطواته
ما قـــام روبسبيـر حتى هـــزه فـولتير تـــذكي نـاره نفخـاته

وبالرغم من التحوّلات الكبرى التي عاشها المجتمع الكويتي ، والمجتمع الدولي في النصف الثاني من القرن العشرين فإن التيارات السياسية الفكرية التي عرفها الكويتيون في مرحلة ما بين الحربين قد استمرت حتى اليوم ، وإن اختلفت الأسماء ، وتنوعت وسائل العمل ، فقد أصبحت الصحافة الكويتية تؤدّي اليوم رسالة سياسية وتثقيفية بعيدة المدى بفضل ما تتمتع به من حرية واسعة ، بل أصبحت تمثل قاعدة صلبة من قواعد التجربة الديمقراطية في الكويت ، ومن عرف عن كثب ممثلي التيارات

الفكرية والسياسية المتعددة يلمس في يسر حرصهم على التنوع والتنافس ، ولكن في نطاق احترام الدولة والدستور ، وقوانين البلاد ، فلم تنبت في أرض الكويت حركات متطرّفة ، إذ أن المجتمع الكويتي مجتمع متسامح ، ومنفتح على الآخر منذ قرون ، ولا شك في أن للموقع الجغرافي ، وللإسهام المتواصل في التجارة الدولية ، والاتصال بحضارات عريقة عبر البحر مثل الحضارة الهندية ، والحضارة الفارسية شأنا خطيرا .

الديوانية النواة الصلبة للمجتمع الديمقراطي الكويتي:

الديوانية مجلس يومي أو أسبوعي يلتقي فيه الأصدقاء والمعارف ، ويكون ملحقا بالمنزل أو مستقلا عنه . وتضرب تقاليد الديوانية بجذورها في تاريخ الكويت وهي علامة مميزة لما يتسم به الكويتيون من تسامح ، وقبول للرأي الآخر ، فالديوانية ليست مجرّد تمسّك بتقاليد الأجداد ، أو فرصة للتلاقي بين الأصدقاء ، بل تحوّلت مع الزمن إلى مؤسسة لها رسالتها المجتمعية ، وسننها المتفق عليها من الجميع ، بل هي تمثل النواة الصلبة للمجتمع

الكويتي الديمقراطي ، بل أذهب إلى أبعد من ذلك فأقول : إنها تمثل ضمانا أساسيا لاستمرار التجربة الديمقراطية في الكويت ، فالميزة الأولى للديوانية هي حرية التفكير والتعبير ، وليس لوجاهة من يرودها ، أو لمنصبه أي شأن يذكر ، ففيها يستوي المواطن العادي بالوزير ، أو بأحد أبناء الأسرة الحاكمة ، بل الزائر العادي لا يفرّق بينهما كما حدث لي ذلك أكثر من مرّة ، ولا يتخاطب الناس فيها إلا بأبي فلان ، وأبواب الديوانية مفتوحة فليس أمامها حارس ، أو رقيب ، فلا يمكن أن أتصوّر أن رواد الديوانية الكويتية تضيق صدورهم ، ولا تنطق ألسنتهم خوفا أن يحاسبوا على كلامهم ، كما هو الحال في كثير من الأقطار العربية ، ومن هنا ذهبت إلى أنها دعامة متينة للتجربة الديمقراطية الكويتية .

وتعبر الديوانية في جل الحالات عن رؤى أصحابها وروادها ، فيغلب على بعضها الطابع الاجتماعي ، ويدور الحديث فيها حول مسائل مختلفة ، ويجري الحديث في نوع من الديوانيات حول قضايا التربية والثقافة بالدرجة الأولى ، كما

نموذج لإحدى الديوانيات القديمة في الكويت

كان الشأن في ديوانية المرحوم عبدالعزيز حسين ، ويطغى الطابع السياسي على صنف ثالث ، وتحوّل بعضها إلى منبر فكري سياسي تلقى في الجزء الأول من السهرة محاضرة تشفع بنقاش ، ثم تعود الديوانية إلى تقاليدها القديمة ، وقد شرفت بإلقاء محاضرة في الربيع الماضي عن "مفهوم الحرية في الفكر العربي" في هذا الصنف من الديوانيات .

أما في أيام الأحداث الكبرى مثل الانتخابات البرلمانية فإن الديوانيات تتحوّل بشتى أصنافها إلى خلايا سياسية نشطة ، وأقول مرّة أخرى : إن الديوانية هي النواة الصلبة لتطوّر الحياة السياسية والفكريّة والاجتماعيّة في المجتمع الكويتي .

ولا مناص من الإشارة في هذا الصدد إلى الدور الوطني الكبير الذي قامت به الديوانيات أيام الاحتلال العراقي فقدمت للمواطنين خدمات اجتماعية وسياسية خطيرة الشأن وتحولت إلى خلايا نشطة للتشاور حول قضايا البلاد ، ولتنسيق أعمال المقاومة ، والاستعداد لمرحلة إعادة البناء بعد التحرير .

حضرة صاحب السمو أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح
في زيارة إلى ديوانية الصيادين في الكويت

ومن مظاهر التجديد في تقاليد الديوانية الكويتية بروز الديوانيات النسائية ، ولكنني لم أحظ بزيارة هذا الصنف الجديد من الديوانيات حتى اليوم ، ولكنني حظيت في زيارتي الأخيرة للكويت بالتعرّف إلى نمط جديد ، ومتفتح جدّا من الديوانيات ، فقد أعدّ لي أحد المفكرين الكويتيين يوما ما مفاجأة جميلة لمّا اصطحبني إلى ديوانية يرتادها الرجال والنساء ، ويؤمها أهل الثقافة والفن ، والمسؤولون في الدولة ورجال الأعمال ، وقد كان لي شرف تسمية إخوان الصفا الكويتيين بجماعة فوق السور ، فالموقع الجغرافي للديوانية يشرف على شواطئ الخليج العربي الجميلة ، ويطل على أحد الأبواب التاريخية التي ترمز إلى سور مدينة الكويت القديمة ، وذكرني إخوان الصفا بالكويت في تحرّرهم ، وتنوّع اهتماماتهم الأدبيّة والفكريّة والفنيّة بجماعة "تحت السور" في مدينة تونس ، وقد ذاع صيتها في الأربعينيات ، ونجد في صفوفها الكاتب ، والشاعر ، والفنان ، والإعلامي القدير ، وأصبحت تمثل معلما بارزا من معالم الثقافة التونسية المعاصرة .

مآسي الغزو:

ليس من الصدفة أنني أجلت الحديث عن زيارة معينة إلى الكويت بقيت ما سمعت فيها من قصص مؤلمة منقوشة في الذاكرة ، وما كان من السهل تصديقها لولا أنني سمعتها من إخوة أعزاء عاشوها بأنفسهم ، ولما كنت مصغيا للرواة وهم يصفون بدقّة ما فعله جلاوزة النظام العراقي بأبناء الكويت ، وخاصة النساء والأطفال عادت بي الذاكرة إلى تلك الروايات التي سمعتها ، وأنا أتجوّل بالأمس البعيد في المعتقلات النازية في "بوخنفالد" قرب مدينة فيمار بألمانيا ، أو في "أوشفيتز" ببولندا ، أو ما أماطت عنه اللثام الوثائق الرسمية السوفياتية عن المعتقلات الستالينية بعد سقوط النظام .

من الروايات التي سجلها شعرا الأديب والمربي المصري صديق الكويت الوفي عبد الحميد البسيوني ، وقد عاش فترة الاحتلال ، وعانى ما عاناه الشعب الكويتي ، وعنوان قصيدته "شاهد وشهيد" ، فهو الشاهد ، والشهيد هو المرحوم يوسف

الغنيم الذي حرمه الاحتلال من الخروج إلى أداء صلاة الجمعة ، وقد تجاوز التسعين ، فلم يحتمل ما كان يسمعه من تنكيل المحتل بأبناء الشعب الكويتي وبناته فزحف إليه المرض ، ودب فيه الوهن إلى أن وافته المنيّة يوم ٢٤ فبراير ١٩٩١ ، ولم يمكن دفنه إلا في اليوم الموالي لرفع علم الكويت من جديد .

يقول رحمه الله في قصيدته الطويلة التي يرثي فيها صديقه يوسف الغنيم ، ويصف احتلال الكويت :

يا عم يوسف إنّ البر من دوني ... والموج أهوج من إعصار مجنون
والبحر ربّانه يا عمّ ليس هنا ... فنحن من دونه في ليل مطعون
وفي الطريق إلى الشاطى قنافذة ... وكلّها رابض في مَسك تنّين
أشواكها من سخام الحقد نبتتها ... وسمّها من عصير المقت والهون
وفي الحوائط أرماح مصوّبة ... إلى الصدور بإحكام وتمكين
وفي النوافذ آذان مسلّطة ... تحصى الدبيب بأعماق الشرايين
إسلامكم أن ننام الليل في فزع ... وبالنهار صفوف الخبز تضنيني
إسلامكم أن يُجرَّ الشيخ تطعنه ... كعوب بندقهم تكاد ترديني
إسلامكم أن تقاد المحصنات إلى ... أهل السجون عرايا ؟ غيرتي بيني

يا عم يوسف قُم فالديرة اغتسلت من الغزاة ومن رجس الشياطين
قم للصلاة ، فبن جراح يخطبنا بصادق الوعظ في جرس بتحزين

* * *

وصلت إلى الكويت بعد أن تحرّرت بفترة قصيرة ، ولعلي من التونسيين القلائل الذين سمح لهم بدخولها ، واصطحبني الدكتور عبد الله الغنيم لحضور ديوانية أخيه الدكتور يعقوب يوسف الغنيم فرحب بي ، وأجلسني بجانبه ، ولم يتعرّف علي رواد الديوانية قبل ذلك فقدمني إليهم ضيفًا عزيزًا من تونس الخضراء ، فعلت وجوه كثير من الحاضرين علامات الاستغراب والاستفهام ، وعلمت بعد ذلك أن بينهم كبار المسؤولين في الدولة ، ثم تهاطلت الأسئلة : كيف؟ ولماذا؟ كيف تفسّر ما قرأناه عن موقف الكثير من أبناء الشعب التونسي ، وهو شعب أبي ناضل ببسالة ضد الاحتلال الأجنبي ، ووقف الشعب الكويتي بجانبه يومئذ ، كما ناصر جميع قضايا المغرب العربي؟ ولم أجد حلاّ عندئذ سوى الاستنجاد بالتاريخ فذكّرت بعلاقات

الصداقة والأخوّة التي تربط بين الشعبين : التونسي والكويتي منذ زيارة الزعيم عبد العزيز الثعالبي للكويت عام ١٩٢٥م ، واحتفاء النخبة السياسية والفكرية بزيارته في "النادي الأدبي" ، ولم ينزل الثعالبي في فندق ، بل أقام في بيوت الكويتيين ، فسكن في دار آل الخالد ، وذكرت بأن تونس كانت في طليعة البلدان التي اعترفت باستقلال الكويت ، وكان موقف الزعيم الحبيب بورقيبة حاسمًا وصارمًا لما أعلن عبد الكريم قاسم عن أطماع العراق في الكويت ، أما ما قرأتموه وسمعتموه فهو مبالغ فيه ، وقد ضللت دعاية النظام العراقي كثيرا من الناس ليس في تونس فحسب ، بل في كثير من الأقطار العربية فاطمأنت النفوس قليلا ، وهدأت حدّة الأسئلة ، وهنا أنجدني الصديق الفاضل الدكتور عبد الله الغنيم لما قال : إنني أشهد أن ضيفنا ندّد منذ اللحظة الأولى بالغزو العراقي ، وقد عرفت موقفه واضحا لا غموض فيه بمناسبة محاضرة تاريخية ألقيتها في تونس عن استقلال الكويت منذ القرن الثامن عشر ، بل وصلته رسالة تهديد نتيجة موقفه المبدئي هذا .

وأذكر هنا أن هنالك من اتصل بي متحمّسا يوم احتلال الجيش العراقي للكويت فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠م ليعرف رأيي حول ما حدث فقلت له : لا يمكن لأي عاقل أن يقبل في نهاية القرن العشرين احتلال بلد مستقل بالقوة مهما كانت الأسباب والتعلات ، فقال لي : حتى ولو كان هذا الاحتلال سيؤدي إلى تحرير فلسطين؟ فضحكت ، وقلت له : هذا غباء سياسي ، وتحجر إيديولوجي ، كيف يمكن للإنسان أن يقاوم احتلال الأرض ، واغتصابها بالقوة من أهلها ، وفي الوقت نفسه يؤيد احتلال أراضي الغير !

* * *

المرأة الكويتية المعاصرة:

إن هذا النص الذي أسعفتني به الذاكرة سيبقى مبتورا ، ناقصا إذا أغفل الحديث عن المرأة الكويتية في أصالتها وحداثتها ، وفي نضالها المستميت من أجل حقوقها المدنية والسياسية ، وهل يمكن للمرء أن يفهم كثيرا من قضايا المجتمع

الكويتي دون التعرّف إلى رسالة المرأة في هذا المجتمع ، فلا تغرنك المظاهر ، وابحث عن اللب .

عرفت المرأة الكويتية المبدعة ، والفنانة التشكيلية ، والجامعية الباحثة ، والإعلامية ، والممثلة المسرحيّة ، والمناضلة في مؤسسات المجتمع المدني .

جاء اللقاء الأول مع المجتمع النسائي الكويتي صدفة ، وكانت صدفة جميلة إذ غيّرت جذريا النظرة السطحية الأولى عن المرأة في الكويت ، فقد دعتني صديقة فاضلة ، ومناضلة صلبة في سبيل حقوق المرأة السياسية لحضور اجتماع نسائي أقامته مؤسسة اجتماعية ثقافية ، وكان موضوع اللقاء حواراً مع وزير الإسكان حول السكن الحكومي ، ومشاكل المرأة الاجتماعية ، وكنت الرجل الوحيد في صفوف الجمهور ، وفوجئت يومئذ بمدى الوعي السياسي والمدني للمرأة الكويتية ، وخرج الوزير منهزمًا في نهاية الحوار ، ولم يكن المحاورات من نساء النخبة ، بل كنّ مواطنات من عامة السكان .

من مخطوطات دار الآثار الاسلامية
ورقة من القرآن الكريم، يحتمل أنها قد كتبت في القيروان بتونس
في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي.
(الآية ٥٠ من سورة المؤمنون)

أما المثقفات الكويتيات فقد ربطتني ببعضهن علاقة احترام وتقدير ، وأكتفي بالإشارة السريعة هنا إلى دور الفاضلتين :

- الشيخة حصة الصباح ، ورسالتها في خدمة التراث الفني العربي الإسلامي عبر مؤسسة «دار الآثار الإسلامية» ، وليس من المبالغة القول هنا : إن الشيخة حصة الصباح قد أصبحت سفيرة الفن العربي الإسلامي في العالم ، فقد نظمت «دار الآثار الإسلامية» معارض عن الفنون العربية الإسلامية في أكبر مدن العالم .

وأود أن أغتنم هذه الفرصة لأشيد بوفاء الشيخة حصة صباح السالم الصباح لكل من ربطت بينها وبينهم علاقات تعاون وتقدير ، شأنها في ذلك شأن كثير من الكويتيات والكويتيين في وفائهم لروح الأخوة والصداقة ، فعلاقاتها بأصدقاء «دار الآثار الإسلامية» لا تتوقف عند الإسهام في نشاطها ، بل هي حريصة كل الحرص على التواصل معهم ، ورعايتهم عندما يحتاجون إلى ذلك ، فقد قدر المثقفون العرب وفاءها ، ووقوفها إلى جانب علاَّمة السودان وأديبها الكبير المرحوم عبدالله الطيب عندما اشتد به المرض ، ثم أحاطت بعد

الدكتورة سعاد الصباح

وفاته أرملته بكل عناية (راجع الملف الخاص بعبدالله الطيب في مجلة «العربي» نوفمبر ٢٠٠٤م) .

- أما الصديقة الجليلة الأخرى فهي الأديبة والشاعرة الكويتية الشهيرة ، وصديقة الشعب التونسي الوفية الدكتورة سعاد الصباح ، قلت عنها يومًا ما : إنها امرأة تجلس فوق القمة .

وأعتزّ بأنني أحد الكتاب الذين أسهموا في الكتاب التكريمي الضخم الذي قدمه لها "المنتدى الثقافي المصري" بإشراف الدكتور عبد العزيز حجازي ، رئيس الوزراء المصري الأسبق تحت عنوان "منارة على الخليج" .

كتبت أقول : قد تنوّعت الأغراض الشعرية في دواوين مهرة الخليج الشموس من التعبير عن قيم إنسانية خالدة ، فعبّرت عن حزن أمّ يضيع من بين يديها ابنها البكر في ريعان الشباب فتعبّر عن فجيعتها في ديوانها "إليك يا ولدي" ، وأعطت لشعبها ديوانها "برقيّات عاجلة إلى وطني" غداة الغزو الغادر ، مليئا بقيم الوفاء والمحبّة والنبل ، وهي القيم التي لا تعرف طريقا إلى قلوب الحكّام المستبدين ، وهم الذين حاولوا دوسها فوق مراتع

صباها بأحذيتهم الفاشيّة ، ويشاء القدر أن تعيش في بلاد الغربة ، والأرض محتلّة ، والأهل رهينة طغاة القرن العشرين محنة قاسية فجرت ينابيع ثرّة من عواطفها الإنسانية الغزيرة .

والشعر عندها ثورة ، وانتصار على الهرم والفناء ، وتجاوز للزمن ، ورحلة جديدة بعد رحلة الحياة ، تتحدّث عن رسالته فتقول :

«إن الشعر هو التعبير والثورة . . . وبه يدرك الإنسان قيمته وإنسانيته ، وهو وثيقة التأمين ضدّ شيخوخة الأحداث ، وضدّ جفاف الشجر وجفاف البشر .

وعندما نكتب شعرا ، فإننا ندافع عن أنفسنا ضدّ الانقراض ، ثم إن الشعر هو الملح الذي يعطي العواطف مذاقا فتكون أحلى مائدة في رحلة الحياة» .

إنّ نضالها في مجال حقوق الإنسان نابع من إيمانها العميق بالحريّة منذ الصبا ، فلما سألوها : من أنت؟

أجابت : امرأة قرّرت الخروج من قارورة التاريخ ، وأن تركب سفينة الحريّة حتى الغرق !

* * *

المراجع

- دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الفرنسية ، ليدن - باريس ، ١٩٦٠ .

- أحمد مصطفى أبو حاكمة ، تاريخ الكويت الحديث ، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٤ ، (مع قائمة جيدة للمراجع عن تاريخ الكويت) .

- ب . ج . سلوت ، نشأة الكويت ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت ، ١٩٩٤ ، (مع قائمة غنية بالمراجع الأجنبية بصفة خاصة) .

- عبد الله يوسف الغنيم ، الكويت في خرائط العالم ، الكويت ، ١٩٩٢ .

- يعقوب يوسف الغنيم ، الكويت تواجه الأطماع ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت ، ١٩٩٨ .

- يعقوب يوسف الحجي ، الشيخ عبد العزيز الرشيد ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت ، ١٩٩٣ .

- عبدالله زكريا الأنصاري ، صقر الشبيب وفلسفته في الحياة ، الكويت ، ١٩٧٥ .

- عمل جماعي ، الأدب في الكويت خلال نصف قرن (١٩٥٠-٢٠٠٠) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٣ .

- عمل جماعي بإشراف سليمان إبراهيم العسكري ، عبد العزيز حسين وحلم التنوير العربي ، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٩٥ .

- سعاد محمد الصباح ، صقر الخليج : عبد الله مبارك الصباح ، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٩٥ (مع قائمة ثريّة بالمراجع العربية والأجنبية عن تاريخ الكويت المعاصر) .

- عمل جماعي بإشراف سعاد محمد الصباح ، الثقافة في الكويت منذ بداياتها حتى الآن ، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٩٧ (ثلاثة أجزاء) .

- عمل جماعي ، إشراف عبد العزيز حجازي ، إعداد وتحرير

محمد يوسف نجم ، منارة على الخليج : الشاعرة سعاد محمد الصباح ، المنتدى الثقافي المصري ، د . ت . (مجلدان) .

- سعاد الصباح ، هل تسمحون لي أن أحب وطني ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ١٩٩٢ .

- سعاد الصباح ، برقيات عاجلة إلى وطني ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ١٩٩٢ .

- عمل جماعي إعداد سهام الفريح ، عبد الله زكريا الأنصاري ، مرايا الذات ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٣ .

- عمل جماعي ، تحرير خليفة الوقيان ، أحمد مشاري العدواني ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٣ .

- عمل جماعي ، تحرير فاطمة حسين العيسى ، يوسف بن عيسى القناعي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٢ .

- سليمان العسكري وآخرون ، الثقافة الكويتية ، كتاب العربي ٥١ ، الكويت ، ٢٠٠٠ .

- حسن العلوي ، أسوار الطين ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ١٩٩٥ .

- يعقوب يوسف الكندري ، الديوانية الكويتية ، جامعة الكويت ، ٢٠٠٢ .

- خالد سليمان العدساني ، نصف عام للحكم النيابي في الكويت ، بيروت ، ١٩٤٧ .

- رسالة الكويت ، رسالة دورية تصدر عن مركز الدراسات والبحوث الكويتية .

- محمد بن عثمان بن صالح : روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ١٩٨٣ .

الفهرس

تقديم ٣

القسم الأول: النشأة والتطور ٥

- جماعة العتوب وبداية ظهور دولة الكويت ١١
- أسرة آل الصباح ٢٠
- مبارك الكبير والصراع الدولي في منطقة الخليج ٢٧
- تزييف الحقائق التاريخية ٢٩
- الأطماع العراقية في الكويت ٣٥

القسم الثاني: الكويت من الذاكرة ٤١

- دور الخواص في النهضة الثقافية ٤٩
- الكويت وحركة التنوير العربي ٦٠
- الكويتيون يرحبون بالزعيم التونسي الثعالبي ٦٥
- تضامن الكويت مع حركات التحرر العربي ٧١
- الديوانية النواة الصلبة للمجتمع الديمقراطي الكويتي .. ٧٨
- مآسي الغزو ٨٤
- المرأة الكويتية المعاصرة ٨٨

المراجع ٩٥

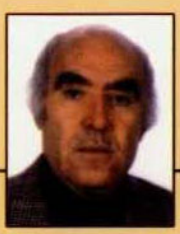

أ.د. الحبيب الجنحاني

- باحث وأستاذ التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي، بالجامعة التونسية.
- أستاذ زائر لعدد من الجامعات العربية والأجنبية.
- عضو في عدد من المؤسسات الثقافية العربية والأجنبية.
- تحصل على جوائز تشجيعية متعددة.
- نشر عددا من الكتب في تونس والرباط والقاهرة وبيروت ودمشق والكويت.
- ينشر في الصحف والمجلات العربية منها: «الحياة»، «الزمان»، «عالم الفكر»، «العربي».
- ساهم في حركة التحرر الوطني التونسية، وناضل سياسيا ونقابيا بعد استقلال تونس.